

الفصل الخامس :

← مع

سورة طه

← البحث في الإعجاز التربوي القرآني →

مع سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ تَخَشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ ﴿١﴾ .

الأول : (تثبيت الرسول ﷺ والتخفيف من معاناته) :

تبدأ السورة بحرفين : " الطاء والهاء ؛ للتنبية إلى أن هذه السورة كهذا القرآن مؤلف من مثل هذه الحروف (٢) " ، وقيل : هو اسم النبي ﷺ سماه الله تعالى به كما سماه محمداً وروى عن النبي ﷺ أنه قال : " لي عند ربي عشرة أسماء " فذكر أن فيها طه ويس . وقيل هو اسم للسورة ومفتاح لها (٣) ، والنص يحتمل هذا وذاك ؛ فالآية التالية تخاطب النبي محمداً ﷺ : " ما أنزلنا عليك القرآن لتتعذب بفرط تأسفك على كفار قريش " (٤) " لكن تذكيراً لمن يخشى ؛ أي لمن شأنه أن يخشى الله تعالى ويتأثر بالإنذار لرقعة قلبه ولين عريكته" (٥) ، و " هذا القرآن الذي جاءك يا محمد هو تنزيل من ربك رب كل

(١) سورة طه : الآيات ١ : ٨ .

(٢) في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ٢٣٢٧ .

(٣) تفسير القرطبي ج ١١ ، ص ١٦٦ .

(٤) تفسير البيضاوي ، ج ٣ ، ص ١٤٢ .

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ج ١٦ ، ص ١٥٠ .

شيء ومليكه القادر على ما يشاء ، الذي خلق الأرض بانخفاضها وكثافتها وخلق السماوات العلي بارتفاعها ولطافتها " (١) .

ثم يعرف القرآن بعض صفات الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ ، ويأتي بصفة الرحمن ليتناسب المراد في رفع الشقاء عن رسوله ﷺ ، وتجلي الرحمة عليه ؛ فهو سبحانه الرحمن المهيمن المستوى على العرش استواء معلوماً ، وكيفاً مجهولاً لتصورات البشر ، كما يروى هذا المعنى عن الإمام مالك - رحمة الله - (٢) .

ولله ما في السماوات وما في الأرض ؛ فهو مالكها والمتصرف فيها ، ويعلم ويملك ما بينها من الفضاء وما تحت الثرى من تراب أو كل شيء فيه رطوبة ، فلا شيء يخرج عن ملكه ولا يستر عن علمه وقدرته .

وكذلك فإن الله مطلع على نفس النبي ﷺ ، ويعلم خلجات قلبه وذكره :

﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ ﴾ (٣) .

أي : تعلن به فإنه يعلم السر وأخفي . قال الحسن : السر ما أسره الرجل

إلى غيره وأخفي من ذلك ما أسره من نفسه " (٤) .

فهو سبحانه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (٥) .

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٤٢ .

(٢) قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عن هذا بدعة " ، الزرقاني ، محمد عبد العظيم مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

(٣) سورة طه : الآية ٧ .

(٤) معالم التنزيل ، ج ٣ ، ص ٢١٢ .

(٥) سورة طه : الآية ٧ .

يعرّف نبيه ﷺ بصفاته سبحانه كما عرفها موسى - ﷺ - فهو رب كل شيء ولا إله سواه ، له الصفات والأسماء الحسنى بدأها بهذه السورة بالرحمن ، فهو سبحانه يرسل إلى فرعون مدع الألوهية رسلاً يقول لهم :

﴿ فِقُولَا لَهُ قَوْلَا لِيِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (١)

وهو القادر سبحانه أن يأخذ الظالمين أخذ عزيز مقتدر .

وروي عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : "إن لله تسعة وتسعين

اسماً مائة إلا واحداً ؛ من أحصاها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر" (٢) .

المضامين التربوية في هذا المقطع من السورة :

١ . النداء في مطلع السورة باسم من أسماء نبيه - على هذا التفسير - يفيد

التحبيب ورفع المعنويات لأداء الرسالة .

٢ . عدم التشديد على النفس وتحميلها فوق طاقتها ؛ فالمشقة والشقاء

مقصد مرفوض في الشريعة ، وكان الله سبحانه قد حذر آدم من قبل

من الوقوع في الشقاء في قوله :

﴿ فقلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنْ

الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ (٣)

(١) سورة طه : الآية ٤٤ .

(٢) صحيح مسلم ، ج ٤ ، ص ٢٠٦٣ .

(٣) سورة طه : الآية ١١٧ .

٣. التذكير بالقيم يفيد من عنده أرضية صالحة للتفهم والخشية لله فيسارع عند الذكري لتصحيح السلوك .
٤. القدرة لله تعالى والملكية المطلقة والعلم المحيط بكل شيء ، يعطي الانطباع للإنسان في تلقي المنهج الإلهي باطمئنان وراحة نفسية ، لاستحالة الخطأ في التوجيه .
٥. مراقبة الله للإنسان في السر والعلن ، تجعل الإنسان والمجتمعات تنصاع إلى كل عمل خير وتنقطع عن أعمال الشر، طالما أن صفحاتها مكشوفة عند الله.
٦. " في تمهيد نبوته ﷺ بقصة موسى ليأتم به في تحمل أعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد . فإن هذه السورة من أوائل ما نزل" (١).

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ۖ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَىٰ ۖ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۖ وَأَنَا أَخْتَرُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ۖ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۖ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۖ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ۖ ﴾ (٢) .

(١) تفسير البيضاوي ، ج ٤ ، ص ٤٢ .

(٢) سورة طه : الآيات ٩ : ١٦ .

الثاني : (قصة موسى عليه السلام) :

الباب الأول : موسى النبي .

(أ) المبحث الأول : تكليف موسى بالرسالة :

تسرد هذه الآيات الحديث عن موسى عليه السلام كيف ومتى حمل أعباء الرسالة الإلهية وتبدأ الآيات " باستفهام وإثبات وإيجاب معناه : أليس قد أتاك " (١) ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ (٢) . لم يكن أتاه حديث بعد ثم أخبره (٣) .

و " من هنا شرع تبارك وتعالى في ذكر قصة موسى ، وكيف كان ابتداء الوحي إليه وتكليمه إياه ، وذلك بعدما قضى موسى الأجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم " (٤) .

ويبدو أن موسى حنّ لأرض الوطن ورغب في زيارة أمه وأخته فاتجه نحو الطور يريد مصر " إنها جاذبية الوطن والأهل تتخذة القدرة ستاراً لما تهيؤه لموسى من أدوار " (٥) .

وفي ظلمة إحدى الليالي رأى ناراً من بعيد ، فأمر أهله بالمكوث ليذهب ويأتي بقبس (٦) . من النار للدفء أو يجد أحداً عندها يدلّه على الطريق أو أقرب طريق وكانت المفاجأة حيث سمع صوتاً يناديه من غير أن يرى صاحب الصوت :

(١) تفسير القرطبي ، ج ١١ ، ص ١٧١ .

(٢) سورة طه : الآية ٩ .

(٣) قال الكلبي ، تفسير القرطبي ، ج ١١ ، ص ١٧١ .

(٤) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .

(٥) في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ٢٣٣٠ .

(٦) القيس : " الشعلة من النار " ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٤ ، ص ٤ .

﴿ يَمْوِسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾^(١)

والخطاب هنا فيه تعريف وتكليف وتطمين ، والآية تفيد أن موسى قد ضل الطريق فجاءه التطمين : ﴿ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾^(٢) ، والوصف للمكان بالقدسية يعطي انطباعاً جديداً لوجوب اتخاذ موقف مناسب فيه ، فكان الأمر بخلع النعلين ، ليدع لموسى المجال في الاستجابة والامتثال لأمر الرب سبحانه دون أن يغرق في متاهة التخيل للشكل المطلوب ، كما أن الاستجابة للأمر في خلع النعلين ينزع من النفس دهشتها لهول المفاجأة ، فلا يقف الشخص واجماً خائفاً منقبضاً بلا حراك .

بعد هذا التحرر من عقدة الخوف ، يأتي التكليف الجليل بحمل الرسالة :

﴿ وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾^(٣)

فالموضوع إذن جاء انتقائياً ، وممن ؟ من الله العلي العظيم ؛ فالله يختار وموسى هو المختار من بين العباد كلهم ، فأى تكريم بعد هذا التكريم ؟ .

ويشد الخطاب موسى فلا ينبس ببنت شفة^(٤) ، ويستمع للوحي كما

أمر الله

﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ ﴾^(٥)

(١) سورة طه : من الآيات ١١ : ١٢ .

(٢) سورة طه : من الآية ١٢ .

(٣) سورة طه : الآية ١٣ .

(٤) أي لم يتكلم بكلمة ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج ١ ، ص ٤٠٧ .

(٥) سورة طه : الآية ١٤ .

وكلمة التوحيد تلقي بظلالها على موسى لتؤكد له زيف ادعاء فرعون بالربوبية، وأن يوماً للحساب لا بد أن يأتي ليجازي كل امرئ بما كسبت يده فاحذر أن يؤثر فيك إعراضهم عن يوم القيامة فيصيبك الهلاك .
بعض المضمين التربوية في مقطع السورة ،

١. التعليم والتكريم للنبي محمد ﷺ بالأسلوب القصصي ؛ وذلك بقوله تعالى :

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١﴾ ﴾ .

٢. المحافظة والرعاية للأسرة والزوجة والبحث عن أسباب الراحة لها .
﴿ ... فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ... ﴾ (٢) .

٣. المشاركة في أعباء الحياة بين الرجل والمرأة ، والصبر على تحمل المصاعب والمتاعب حيث كان موسى يبحث عن الطريق بعد أن ضل عنها ومعه أهله ﴿ ... أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ (٣) .

٤. مخاطبة المكلف باسمه دون وضع حواجز الألقاب أدعى للاستجابة وأحب إليه مما لو ناداه يا عبدي .. أو يا هذا .. كما أن المناداة بالاسم تزيل الوحشة في مثل ذلك الموقف الرهيب وتدعو للتحبب. ﴿ .. يَمْوَسَى ﴿٤﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ .. ﴾ (٤) .

(١) سورة طه : الآية ٩ .
(٢) سورة طه : من الآية ١٠ .
(٣) سورة طه : من الآية ١٠ .
(٤) سورة طه : من الآية ١١ : ١٢ .

٥. التعريف بقدرسية المكان التعليمي ، يقوي في النفس قدسية العلم نفسه
 ﴿ ... إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (١) . كما
 أن الالتزام بنظام معين وربما زي معين ، هو أيضا من مظاهر
 الانضباط التعليمي في صروحه المقامة ﴿ ... فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ ... ﴾ (٢) .
 وتطبيق هذا النظام أو ذاك يعكس قابلية المتعلم للتلقي أو الرفض ،
 وبالتالي الاستفادة أو مجرد إضاعة الوقت .

٦. إشعار المتعلم بالاهتمام قبل الالتزام معنى جليل تشير إليه الآية
 الكريمة

﴿ وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ (٣) .

٧. التعريف بمجمل المنهج وعدم الإطالة وتقسيمه إلى مراحل يتخللها
 شيء من البحث في شؤون الواقع يمهد لقابلية أشد في الاتباع والتلقي
 وحمل الرسالة

فبعد طلب الاستماع لما يوحى عرض الله سبحانه وتعالى لموسى
 بشكل إجمالي : تعريف وتكليف ، وحكمة وتحذير :

﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (٤) إِنَّ
 السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ
 عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿٦﴾ (٤) .

(١) سورة طه : من الآية ١٢ .
 (٢) سورة طه : من الآية ١٢ .
 (٣) سورة طه : الآية ١٣ .
 (٤) سورة طه : الآية ١٤ : ١٦ .

٨. الصلاة والعبادة لله بإخلاص ، والفكر الصحيح المسند ﴿ ... لِمَا يُوحَى

﴿ (١)

أدوات ضرورية في تحمل مشاق الوصول إلى الهدف المنشود . وهذا

التكليف لموسى - ﷺ - جاء قبل الكشف له عن مهمة المواجهة

لفرعون فيما بعد .

(ب) البحث الثاني : معجزة موسى إلى فرعون :

جاءت معجزة موسى تحمل معنى البساطة ، ومنتقاة من البيئة التي

يعيشها موسى ، وتناسب مع أسلحة الخصوم - السحرة - في الصورة

والمضمون . وكانت بهذا مواكبة للتطور الذي توصل إليه نخبة المجتمع

الفرعوني من علوم .

وبعد الدرس الماضي من التعريف والتكليف ، ودهشة موسى - ﷺ - ،

وما أصابه من الوجوم والعجب والسكوت في الاستماع ، يخرج الخطاب من

هذا الجو الصامت بطريق السؤال ، ليفيق على مرحلة أخرى يعدلها ، ليحمل

معجزة إلى جانب الرسالة تتوافق مع شدة وهول المواجهة مع فرعون .

وإذا كانت المعجزة تتألف من محورين ، محور العصا - الثعبان -

كواحدة في مواجهة السلاح بسلاح مثله أو أشد منه ؛ فإن الثانية هي محور

(١) سورة طه : من الآية ١٣ .

اليد البيضاء التي تخرج من غير سوء لمن أراد أن يستجيب للسلام الذي يدعو إليه موسى دون الحاجة إلى العنف وإراقة الدماء .

تقول د. الدجاني ، زاهية : " وتجدر الإشارة هنا إلى أن المعجزة الثانية التي أفاض بها الله تعالى على موسى ، قد تشير إلى أن كفاح موسى المقبل مع فرعون كفاح سلمي " (١)

﴿ وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿٧٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿٧٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَمْوَسَىٰ ﴿٧٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٨٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٨١﴾ وَأَضْمَمْنَا يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةٌ أُخْرَىٰ ﴿٨٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٨٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ (٢)

المضامين التربوية ،

١. السؤال والحوار: أسلوب تعليمي مفيد ، وهو ضروري لنجاح العملية التربوية شريطة أن يكون السؤال بقصد التنبيه والالتفات والتفاعل لا أن يكون السؤال تعجيزياً ؛ كما هو الحال في بعض المناهج التدريسية الموجهة للأطفال في المراحل التعليمية والابتدائية ، حيث يعرض

(١) المفهوم القرآني والتوراتي ، ص ٧١ .

(٢) سورة طه : من الآية ١٧ : ٢٤ .

السؤال عن شيء مجهول لم يخبر به الطفل سابقاً ولا يكاد يستوعب فهم جوابه فيقف الطفل حائراً عاجزاً .

وموسى عليه السلام فطن لهذا المعنى ؛ فدعا بصوته وعلا أن يشرح له صدره حتى يتيسر أمره وأن يحلل له عقدة من لسانه . ويذكر كثير من المفسرين سبب عقدة لسانه التهامه لجمرة وهو طفل زمن فرعون . ويبدو أن القصة ضعيفة فلا يعقل أن يحمل الطفل جمرة بيده فلا تحرق يده لتصل إلى فمه . وأطال بعض الباحثين حول هذه النقطة في النقل والتحليل بين أقوال المفسرين والمفكرين المسلمين المحدثين ، وبعض نصوص العهد القديم ، وخلص إلى القول أن " العيب الذي كان في لسان موسى لم يكن هو قلة الفصاحة بل حبسة في لسانه ... وأن لسان موسى لم ينفك تماماً " (١) .

والذي أميل إليه هو قول المناوي من أن حل عقدة لسانه " يعني به من قوة لسانه فإن العقدة لم تكن في الجارحة ، وإنما كانت في قوته التي هي النطق " (٢) .

فموسى عليه السلام ليس عيب اللسان ، وإلا لما رأيناه يدير الحوار كله مع فرعون وطلبه مؤازرته بأخيه هارون عللها بأنه أفصح منه لساناً ، وهذا لا ينفي الفصاحة عن موسى بل يثبتها له ، كما ورد ذلك في سورة القصص :

(١) سورة طه : دراسة لغوية أسلوبية مقارنة ، ص ٧١-٧٢ .

(٢) التعاريف ، ج ١ ، ص ٦١٨ - ٦١٩ .

﴿ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۗ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ (١)

فخوف موسى من تكذيب القوم له ، وخوفه من مطالبته بدم الرجل الذي كان من آل فرعون إذ قتله قبل البعثة ، ربما يضعف ذلك موقفه فلا ينطلق لسانه بالحجة . يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۖ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ (٢)

ولا أجد دلالة على عي لسان موسى من قول الله تعالى :

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۗ ﴾ (٣) ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (٤)

فكلام فرعون جاء من قبيل الاستعلاء من جهة ، والاستخفاف بموسى من جهة أخرى . وإذا كان فرعون يتكلم عن تاريخ موسى قبل البعثة ؛ فماذا كان يمكن لموسى أن يبين وهو في قصر فرعون ، يرى الظلم والتقتيل لأطفال بني إسرائيل؟ أليس أهدر فيها دمه عند أول حادثة وكز فيها رجلا من آل فرعون ففضى عليه من غير قصد في قتلة ؟

(١) سورة القصص : الآية ٣٤ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ١٢ : ١٤ .

(٣) سورة الزخرف : الآية ٥١ : ٥٢ .

وابن كثير في تفسيره يكشف عن كذب فرعون في ادعائه فيقول : " قلت : وعلى كل تقدير فإنما يعني فرعون لعنه الله بذلك أنه خير من موسى عليه الصلاة والسلام وقد كذب في قوله هذا كذباً . بيناً واضحاً ... ويعني بقوله " مهين " كما قال سفيان حقير.... " ولا يكاد يبين " يعني لا يكاد يفصح عن كلامه .. وهذا ما قاله فرعون لعنه الله كذب واختلاق ، وإنما حملة على هذا الكفر والعناد " (١) .

وجملة القول أن موسى عليه السلام طلب من الله تعالى تأييداً معنوياً ومادياً لحملته القادمة مع فرعون وقومه .

المضامين التربوية في مقطع السورة الأنف الذكر ،

١. انشراح الصدر وانطلاق اللسان قضية أساسية في خدمة الأفكار التي يدعو إليها المصلحون .

٢. الاستنصار بأهل الفصاحة والبيان يخدم الدعوة الإيمانية من الناحية الإعلامية وهو عمل لا يقل أهمية عن المواجهة بالقوة المادية .

٣. المدافعون عن الدعوة ، المؤازرون لقيادتها هم أحق الناس بالاشتراك في الحكم وهي دعوة صريحة لنبذ التفرد والديكتاتورية .

٤. تقريب الأصدقاء وأهل العشيرة لا يكون على أساس عشائري ، وإنما على أساس المقدرة والكفاءة والإخلاص والقيام بأعباء العمل .

(١) تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٧ / ١٩٨٧ ، ج ٤ ، ص ١٤٠ .

٥. نتاج الحوارات والمواجهات الفكرية يجب أن ينصب في معين التسبيح لله تعالى وكثرة الذكر وشكر النعم التي أنعمها الله على الأفراد والجماعات ومن هذه النعم الإيمان والصحة والعقل ، وإن واجه الإنسان ابتلاءات وتمحيصا وتشريداً كما حدث مع موسى عليه السلام .

٦. إجابة الراعي أو المسئول أو المعلم لطلبات الرعية أو الطلبة إذا كانت تلك المطالب هادفة وبناءة وتخدم المصلحة العليا للفكر والعقيدة والعبادة .

٧. عدم التخوف من مواجهة معالي الأمور، إذا عزم المرء وتوكل على الله وأخذ بالأسباب .

﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٢٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٢٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ ۗ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٢٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۗ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۗ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَيَّ قَدَرٍ يَمْوِسِي ﴿٣٠﴾ ۗ ﴾ (١) .

الباب الثاني ، حياة موسى الاجتماعية .

(أ) البحث الأول : موسى في طفولته :

(١) سورة طه : الآية ٣٧ : ٤٠ .

تصور الآيات حالة الفزع والخوف التي كانت تعيشها الأسرة التي ولد فيها موسى وهي حالة ليست فريدة ؛ فالقرار الفرعوني في تقتيل أطفال بني إسرائيل ، دفع أم موسى وبوحى إلهامي من الله تبارك وتعالى ؛ أن تقذف وليدها في التابوت فتقذفه في البحر فليلقه البحر على الساحل الفرعوني ، ليربى في بيت عدوه وعدو الله ، رغم كراهيتهم لهذا الصنف من البشر ، بل تلقى المحبة على الطفل الرضيع إلقاء . وتمشي الأخت لتدل القوم على من يرضعه لهم ، بعد أن حرم الله عليه المراضع .

هذا المقطع يشكل حياة طفولة موسى منذ الولادة .

المضامين التربوية فيه .

١. الوحي يكون أحياناً بالإلهام ، طالما أمر بخير وتحقيق مصلحة ولم يخالف نصاً ولا عقلاً^(١) صحيح أن إلقاء الطفل في البحر مخاطرة ولكنها أقل بكثير من مخاطرة تقديمه قرباناً للظالمين .
٢. عدم اليأس والقنوط في اللحظات الحرجة ؛ فلا طريق مسدود أمام المؤمنين بالله الذي يجعل لمن يتقي الله مخرجاً .
٣. كثيراً ما يكون تدمير الظالمين فيما يحيكونه من تديير ؛ ففرعون يذهب ملكه على يد من آواه ، وأتاه من حيث لا يحتسب .
٤. التماسك الأسري في البيوت الإيمانية يعطي نتائج عظيمة ، فمبادرة أم موسى ومشي أخته لقص أثره أدت ليس إلى نجاة طفل رضيع فقط

(١) الوحي والإلهام : هو الكلام الخفي الذي يدور في نفس الموحى إليه ، ويتفاعل مع هواجسه ومشاعره حافظاً إياه إلى التصرف والتنفيذ الفعلي أو القول ، وليس هو وحي الأنبياء ، قصص القرآن الكريم ، ص ٤٧٦ .

، وإنما لتغيير حقبة من التاريخ ما كانت لتحدث لو تهاون

أفراد الأسرة وسلموا زمامهم للأمر الواقع - كما يقال - .

٥. العناية بالأمهات وتكريمهن والحرص على إبعاد الحزن وأسبابه عنهن

مقصد عظيم من مقاصد الشريعة ، يجب وضعه في سلم أولويات

الحياة الاجتماعية

٦. الأفراد الذين يتعرضون للأزمات والنكبات ، عندهم قابلية الضلوع في

أمور عظيمة إذا وافق ذاك قدر ليصنع بأيديهم .

٧. التوكل على الله والنظرة التفاؤلية للحياة تعطي فرصا حقيقية

للنهضة والغلبة والنصر .

اب) البحث الثاني : موسى في رجولته وشبابه :

﴿.... وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ

مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلِيَّ قَدَرٍ يَمْؤُوسٍ﴾ (١)

هذه الآيات لم تفصل تفصيلا كاملا لحياة موسى عليه السلام ، وإنما تناولت ما

يتناسب مع وقائع الأحداث والأدوار الرئيسية في مواجهة فرعون ودعوته إلى

عبادة الله .

(١) سورة طه : من الآية ٤٠ .

وهي أدوار تشكل عقداً في تسلسل القصة ؛ فقاتل للنفس مطلوب ؛ كيف سيواجه خصومه ؟ وغريب عاش بعيداً عن وطنه متخفياً متوجساً ؛ كيف يعود للظهور في الحياة عند طالبيه ؟

ثم تفصح الآيات عن نفوذ يد القدرة الإلهية في الموضوع من أوله إلى آخره

.المضامين التربوية .

١. النظرة الإيمانية لإزهاق الأرواح نظرة تحفظية ؛ حتى وإن كانت تلك الروح هي من الخصوم والأعداء ؛ فالقتل في حد ذاته ليس هدفاً في النزاعات .

٢. النفس الإيمانية تأبي أن تتعايش مع الخصومة والشجار والقتل وإن كان عن غير عمد . فقد أصاب موسى عليه السلام الهم والغم جراء ما فعل .

٣. جواز وإباحة الفرار من وجه المحاكمات التي لا تحكم بالعدل والإنصاف والإيمان :

﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١)

٤. الفتنة والابتلاء والاختبار تصنع الرجال الأشداء ؛ فلا يحمد أن تواجه بالاعتراض والتذمر والارتياب .

(١) سورة الشعراء : الآية ٢١ .

الباب الثالث ، عودة موسى لآل فرعون لدعوتهم .

(أ) المبحث الأول : حمل الرسالة إلى فرعون :

﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِعَايَتِي وَلَا تَنبَأُ فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾ فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ أَهْدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾ ﴾ (١) .

مضمون الرسالة إلى فرعون : أن يرجع عن طغيانه :

﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (٢)

أي يتعظ ويخاف ويسلم . فإن قيل : كيف قال لعله يتذكر وقد سبق في علمه أنه لا يتذكر ولا يسلم ؟ قيل معناه : اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمركما " (٣)

﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ (٤) .

(١) سورة طه : الآيات ٤١ : ٤٨ .

(٢) سورة طه : الآيات ٤٣ : ٤٤ .

(٣) تفسير البغوي ، ج ٣ ، ص ٢١٩ .

(٤) سورة طه : من الآية ٤٤ .

" فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم ، ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة ومن شأنه أنه يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان " (١) .
وتنشأ هنا صورة من صور الحوار بين الله سبحانه ونبيه موسى وهارون لينتقل المشهد من موقع مفاجأة موسى لربه عند الطور لـ " يطوي السياق المسافات والأبعاد والأزمان ، فإذا هارون مع موسى ، وإذا هما يكشفان لربهما عن خوفهما من مواجهة فرعون ، ومن التسرع في أذاه ومن طغيانه إذا دعواه " (٢) .

﴿ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٥﴾ فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَتَّبَعِ أَهْدَىٰ ﴿٤٦﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ (٣) .

ويطمئن موسى لوعده ربه فيذهب عنه الروع والخوف وقدم هو وأخوه إلى فرعون لتبليغه رسالة ربه .
المضامين التربوية :

١ . انضمام هارون إلى موسى في دعوته يؤكد على مبدأ التعاون في مجال البر والتقوى وهو أمر مطلوب دائماً .

(١) في ظلال القرآن ، ص ٢٣٣٦ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) سورة طه : الآيات ٤٥ : ٤٨ .

٢. كل طريق يحتاج إلى زاد ﴿... خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى...﴾^(١) ، وذكر الله تعالى خير زاد لمواجهة الصعاب ؛ فهو من جانب فيه استغاثة والتجاء إلى الله ومن جانب آخر يعطي القلب قسطاً من الهدوء والراحة والطمأنينة . وهو أمر لا غنى عنه في مثل هذه المواقف .

لذلك أشارت الآية : ﴿... وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾^(٢) أي لا تضعفًا .
٣. التغيير في المجتمعات يأتي عادة من جهة أصحاب القرار ؛ فإذا كان المجتمع تحكمه المؤسسات ؛ فالتغيير بحاجة إلى فعاليات الأفراد المنتهين إلى تلك المؤسسات .

﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾^(٣) .
وإذا كان المجتمع يخضع لحكم ديكتاتوري فالتغيير لا يتأتى إلا من جهة صاحب القرار فيه ، وهو أعلى سلطة حاکمة ؛ لذلك جاء التكليف لموسى وأخيه ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾^(٤) هكذا مباشرة ؛ فلا أحد غيره يملك قراراً في مملكته ، ومع ذلك فهو طغى وتجاوز الحد ، ولم يجد من يردعه .

٤. الدعوة باللين والحكمة والموعظة الحسنة تؤتي ثمارها :

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾^(٥) .

(١) سورة البقرة : من الآية ١٩٧ .
(٢) سورة طه : من الآية ٤٢ .
(٣) سورة الرعد : من الآية ١١ .
(٤) سورة طه : الآية ٤٣ .
(٥) سورة طه : الآية ٤٤ .

والرسول محمد ﷺ يؤكد على هذا المعنى بقوله " إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه " (١).

٥. كلما زادت وقويت السلطة من غير وازع إيماني أو أخلاقي ، وفي ظل غياب مبدأ المحاسبة ؛ كان في المقابل زيادة في البطش والظلم والطغيان ، وعدم التحكم في الانفعالات :

﴿ نَحَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ (٢).

ويقول النبي ﷺ : " إذا استشاط السلطان تسلط الشيطان " (٣).

٦. الخوف انفعال سلبي لا تقوم معه حضارة لأفراد ولا مجتمعات ، وهو داء يمكن معالجته بالإيمان والخوف من الله ، والوعي والعلم والتضحيات .

٧. التماذي في الظلم والعدوان يقرب أصحابه من الهلاك ؛ فكلما اشتدت

الأزمات ، لا بد وأن تكون يد القدرة الإلهية تهيئ الأسباب للتغيير :

﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (٤).

فالله سبحانه يعدّ موسى وهارون لمهمة هو يعلم أولها وآخرها ، ويعلم أسبابها ونتائجها .

(١) صحيح مسلم ، ج ٤ ، ص ٢٠٠٤ .

(٢) سورة طه : من الآية ٤٥ .

(٣) مسند أحمد ، ج ٤ ، ص ٢٢٦ .

(٤) سورة طه : الآية ٤٦ .

(ب) المبحث الثاني :

﴿ فَاتِيَاهُ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِعَايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ أَهْدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾^(١) .

وعند هذا الحد يفهم فرعون فحوى الكلام ومدلوله ، ولم يعلق على قضية بني إسرائيل فلا إنكار في تعذيبهم ، ولهوانهم عليه لم يلتفت حتى لموضوع خروجهم كأحد مطالب موسى والشيء الذي شده : قضية الربوبية :

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾^(٢) .

وبهذا فتح باب الحوار ، وهو اعتراف ضمني بالمقابل اعتراف النذ والنظير ، بعد أن كان موسى طريداً مطلوباً .

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَىٰ ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ * مِمَّنَّا مَنَّا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِمَّنْ أَرْضَنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ تُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾^(٣) .

(١) سورة طه : الآيات ٤٧ : ٤٨ .

(٢) سورة طه : الآية ٤٩ .

(٣) سورة طه : الآيات ٤٩ : ٥٩ .

وبجيب موسى ﷺ ويعرف صفات ربه وخالقه ، معرضاً بغفلة فرعون عن نعم الله التي يتنعم بها ولا يؤمن به ولا يشكره ، ويقرب إليه الإيمان بضرب الأمثلة الحسية ، وذلك بنزول المطر واختلاف النباتات ، ومن ثم البعث للأموات ولكن فرعون يكذب ذلك كله رغم الآيات والدلائل ، ويتهم موسى بالتآمر والسحر وكانت التهمة الأولى لإحباط المشروع السياسي لإخراج بني إسرائيل ، والثانية لنزع صفة النبوة التي جاء بها موسى وإنهاء الأفكار التي يحملها ، وهي أفكار بلا شك تؤثر على سلطان فرعون وتجبره وتسطله وادعائه الربوبية .

ويطرح فرعون - متحدياً - لقاءً يجمع موسى والسحرة ؛ ليثبت وجهة نظره ويصرف موسى وما جاء به من أفكار .
المضامين التربوية :

١. رفع الظلم عن الشعوب هو مطلب من أولويات العمل لبناء الدولة النموذجية فالدعوة إلى فرعون إلى أن يتذكر أو يخشى لم تترك فراغاً وانتظاراً لأحقاب الزمن حتى يمين على الشعب بالرضى والعدل ؛ فكان لزاماً أن يصاحب ذلك إخراج بني إسرائيل من أرضه وتخليصهم من عذابه فالشعب المقهور لا يقوى على العطاء والإبداع .
٢. من علامات نجاح الزعيم الصادق والمخلص : اهتمامه بقضايا شعبه وتخليصهم من نير الاستعباد والعذاب .

٣. أية دعوة لا يقيم أصحابها الدليل من الواقع على صدق أفكارها

وصحة مسارها لا تكتب لها الحياة :

﴿..... فَأَرْسَلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ
وَأَسْلَمْنَا عَلَىٰ مَن أَتَبَعَ أَهْدَىٰ﴾ ﴿٤٧﴾ (١).

٤. ضرورة تفعيل الدور الإعلامي ونفي التشكيكات التي تتأثر من جهة

الأعداء والاعتماد على الخطاب اليقيني ليسود السلام الحقيقي
والاطمئنان ربوع الناس .

٥. توظيف الآيات الكونية لإثبات دلالاتها العقدية ، وتصحيح المفاهيم

العالقة في أذهان المنكرين للغيب .

٦. قبول التحدي القائم على أساس حصر الوجود والحياة والإنسان في

النظريات المادية وإقامة المهرجانات العلنية من قبل المؤمنين
المتكئين في العلم والتخصص والثقافة ؛ لإنقاذ البشرية من علمنة
العصر.

٧. عدم استهانة الدعاة بخصومهم وأساليبهم وقدراتهم ؛ مما يستدعي

التهيؤ والإعداد الكافي للمواجهة الفكرية ، والتنبه لاحتمالات نقل
الصراع وتسييسه بغرض الإيقاع والاتهام .

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ ﴿٦٦﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا
تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَن أَفْتَرَىٰ ﴿٦٧﴾
فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٨﴾ قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرَانِ
يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ

(١) سورة طه : من الآية ٤٧ .

﴿ ٦٦ ﴾ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَّوْا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعَلَى ﴿ ٦٦ ﴾
 قَالُوا يَمْوَسَىٰٓ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿ ٦٥ ﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا
 فَإِذَا حِبَاهُمْ وَعَصِيهِمْ تُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ تَسَعَىٰ ﴿ ٦٦ ﴾ (١).

(ج) البحث الثالث: حوار موسى للسحرة :

يدرك موسى ﷺ صنيع الكيد الفرعوني ، ويهاجم السحرة قبل النزال

ليضعف شيئاً من عزيمتهم ومعنوياتهم :

﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ
 وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَىٰ ﴾ (٢).

وفعل السحر في هذا المقام لا يحسب على أنه مجرد ألعاب بهلوانية

وتحويل العصى إلى أفاعي . فالجماهير المحتشدة في يوم الزينة أحد الأعياد

الوطنية الفرعونية ، سوف تتجه في إيمانها لأحد الفريقين ؛ فإذا نجح السحرة

تسببوا في إضلال الناس إلى يوم يبعثون لذلك تجرأ موسى في تسفيه أحلامهم

بقوله :

﴿ وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ
 أَفْتَرَىٰ ﴾ (٣).

(١) سورة طه : الآيات ٦٠ : ٦٦ .

(٢) سورة طه : الآية ٦٦ .

(٣) سورة طه : من الآية ٦٦ .

ويبدو أن هذا الخطاب أثر في بعضهم؛ فسارعوا إلى التناجي ليكونوا فريقاً واحداً يؤيد فرعون؛ فرددوا النُّهم التي ألقاها فرعون نفسها:

﴿ قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴾ (١).

أي: "ويستبدًا بهذه الطريقة وهي السحر دونكم، ويسيطران على مكاسبها المادية ومراتبها، وهذا يدل على أن السحرة نظروا إلى موسى وهارون على أنهما منافسان خطيران لهم على صناعة السحر وأرباحها وفوائدها" (٢).

ثم وصى بعضهم بعضاً بالاتحاد والقوة للفلاح والاستعلاء، وخيروا موسى بالإلقاء فقدمهم موسى ليرى سحرهم وإعدادهم، فألقوا الحبال والعصى فتحولت إلى مئات الثعابين (٣).

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ ۚ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ۚ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ (٤).

والخوف الذي انتاب موسى ﷺ هو "أن يفتتن الناس قبل أن يلقي عصاه" (٥) فخاف أن يتفوق السحرة، وقد ﴿ ... وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴾ (٦)

(١) سورة طه: الآية ٦٣.

(٢) سبيل السعادة في سورة طه، ص ٥٤ - ٥٥.

(٣) قيل في عدد السحرة: إنهم كانوا تسعة عشر ألفاً، وخمسة عشر ألفاً. وعن ابن عباس: كانوا سبعين رجلاً. انظر: تفسير اب كثير، ط، بيروت، ١٤٠١، ج ٣، ص ١٥٩.

(٤) سورة طه: الآيات ٦٧: ٦٩.

(٥) تفسير القرطبي، ج ١١، ص ٢٢٢.

(١) ولكنه أضر هذا الخوف رغم أن الخوف الفطري لا يعيب ، والحنكة في المواجهات أن يتجلد المرء تجاه الأعداء .

ولم تطل هواجس موسى حتى جاءه الوحي من الله :

﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِيرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ (٢) .

وهكذا كان .. وألقي موسى عصاه ؛ فإذا هي حية كبرى تبتلع ما ألقاه

السحرة .

قال القرطبي : " فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبین فاغر فاه يبتلع حبالهم

وعصيهم فألقي السحرة عند ذلك سجداً فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة

والنار وثواب أهلها " (٣)

المضامين التربوية .

١. الاهتمام بالرأي العام وأثره ؛ ففرعون كان قادراً أن يقمع موسى

فيسجنه أو يقتله عند لقائه وحواره ، ولكنه أثر ألا يفعل

ذلك .

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ (٤) .

٢. الاهتمام بالبت الدعائي ، وتقويض مواقف العدو ، ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ

وَيْلَكُمْ ... ﴾ (٥) فآثر قوله فيهم ﴿ فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم ... ﴾ (٦) .

(١) سورة الأعراف : من الآية ١١٦ .

(٢) سورة طه : الآيات ٦٨ : ٦٩ .

(٣) تفسير القرطبي ، ج ١١ ، ص ٢٢٢ .

(٤) سورة طه : الآية ٦٠ .

(٥) سورة طه : من الآية ٦١ .

(٦) سورة طه : من الآية ٦١ .

٣. عدم إظهار الخلافات الداخلية وتعدد وجهات النظر فيما يتعلق بالحروب والمخاصمات ، والظهور بالموقف الثابت .
٤. الحرب الدعائية عادة تقلب الحقائق، ولا تعتمد المبادئ والأخلاق في عملها فالسحرة اتهموا موسى كما اتهمه فرعون من قبل أنه يريد إخراجهم من أرضهم في الوقت الذي كان موسى يريد إخراج بني إسرائيل وترك الأرض وما عليها لهم .
٥. الصبر والصمود أمام صولة الباطل ؛ فالسحرة كانوا يرتجون ثواب الدنيا دون تمييز أو ترجيح لجانب الحق .
- ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ (١)
- ويروى عن علي بن أبي طالب عليه السلام قوله : " صولة الباطل ساعة ، وصولة الحق إلى قيام الساعة " (٢) .
٦. الاستفادة من عنصر المفاجأة في المواجهات ؛ فموسى عليه السلام خير بين أن يلقي أو يلقي السحرة . فاختار أن يؤخر مفاجأته من جهة ويطلع على قوة وسلاح العدو من جهة أخرى ؛ لعله يجد الرد المناسب .
٧. كل كيد يقوم على أساس صناعة الأباطيل وتخويف الضعفاء . ﴿ ... سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرَّهُمُ ... ﴾ (٣) . والتزوير وقلب

(١) سورة الأعراف : الآية ١١٣ .

(٢) خزانة الأدب ، ج ١ ، ٧٤ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١١٣ .

الحقائق؛ لا يكتب له الفلاح ولا النجاح. ﴿.. وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (١).

﴿فَأَتَى السَّحْرَةَ سُجْدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾ (٧٤) ﴿قَالَ ءَامَنَّا لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ (٧٥) ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَنَّكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٧٦) ﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (٧٧) ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ (٧٨) ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ (٧٩).

(د) البحث الرابع : حوار السحرة لفرعون بعد إيمانهم :
" الإيمان ونخلخل موازين القوي "

كل القوة المادية كانت بجانب فرعون وجنده - المكان والزمان والجمهور - ولم يخطر ببال أحد منهم أن موازين القوى ستقلب في لحظة - لحظة التقام حية موسى جميع الأفاعي التي ازدحمت فيها حلبة اللقاء - وجاء

(١) سورة طه : من الآية ٦٩ .

(٢) سورة طه : الآيات ٧٠ : ٧٦ .

التعبير بـ ﴿ .. تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا ... ﴾^(١) لتضفي على الجوسرعة الحركة للأكل^(٢). فأسقط في يد السحرة

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغَلِبُوا هنَالِكَ وَأَنْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾^(٣) فقد فرعون سلاحه الذي أعده وجمعه ، وانقلب على أصدقائه ومناصريه ، ﴿ قَالَ ءَأَمْنُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۗ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطِعبِ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾^(٤) .

اعترض على إيمان بغير إذنه واتهم وحكم وتوعدّ وعربد^(٥) . وبهذا حرف الحوار عن مساره وطبيعته .

إنه لم يفعل ذلك مع موسى ؛ لأن الهيبة والجلال اللذان اتسم بهما النبي بتأييد الله تعالى ؛ حيث قضى فقال :

﴿ ... لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ ءَأَسْمَعُ وَأَرَى ﴾^(٦)

أم لأن فرعون لم يتحمل صدمة النتيجة فأخذ يتخبط في قوله وفعله مع السحرة ؟ .

(١) سورة طه : من الآية ٦٩ .

(٢) في ظلال القرآن ، ص ٢٥٩٥ .

(٣) سورة الأعراف : الآيات ١١٧ : ١٢١ .

(٤) سورة طه : الآيات ١١٧ : ١٢١ .

(٥) عربد : العريضة : سوء الخلق . ورجل معربد : يؤدي نديمه في سكره ، لسان العرب ، ج ٣ ص ٢٨٩ .

(٦) سورة طه : من الآية ٦٩ .

في الصورة المقابلة اتسم السحرة بالإيمان والهدوء والقوة في المنطق والتحدي وتسلسل الأفكار.

﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (١)

ونادراً أن يقف أحد موقف السحرة بعد إيمانهم ذلك الموقف الرهيب العجيب فتهديد فرعون ووعيده لم يضعف عزيمتهم ، بل جاء إيمانهم يفوق التصور فأثروا الآخرة على الدين ، وآثروا الدلائل والبراهين على زخارف الملك ووقفوا موقف التحدي ، واعترفوا بذنوبهم في العهد السابق ، وطلبوا المغفرة من الله ، وأقروا بالآخرة وثوابها وتبرؤوا من النار وأصحابها وطمعوا في الدرجات العالية في الجنة وانتهى أمر السحرة عند فرعون ؛ "فقتلهم وصلبهم ... وذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى ، أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى ، فخالف بين العضوين في القطع ويقال : إن أول من سن هذا القطع فرعون " (٢) .

المضامين التربوية ،

١. المبادرة والإسراع في اقتناص فرص الخير ، والتمسك بالحجج والبراهين

:

﴿ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ (٣)

(١) سورة طه : الآية ٧٢ .

(٢) تفسير الطبري ، ج ٩ ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(٣) سورة طه : الآية ٧٠ .

٢. السجود علامة وشعار الإيمان يتصف به المؤمنون في كل عصر؛ فلا ينبغي أن ينصرف لغير الله .
٣. مناصرة أهل الباطل تنتهي بانقلاب بعضهم على بعض .
٤. إلقاء التهم جزافاً تدل على إفلاس فكري عند أهل الباطل ، وتشير بتضعف موافقهم .
﴿ قَالَ ءَأَمْنُمُّ لَهُ قَبَلٌ أَنَّ ءَأَذْنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ... ﴾ (١) .
٥. التفتن في تعذيب البشريدل على الانحدار الفكري والانحراف العقدي والتوتر النفسي لدى الظالمين المتسلطين .
٦. التضحية بالنفس والمال والشهرة والمنصب هي ضريبة المؤمنين المجاهدين في كل عصر؛ يدفعونها كلما كانت مصلحة عامة تقتضي هذه التضحية .
٧. الإيمان الصادق يقتضي التبرؤ من الخطايا والتمرد على عمليات الإكراه والضغط الذي يمارس عادة من قبل أصحاب النفوذ لشراء الذمم والضامئ .
٨. الدعوة بالكلمة والحكمة والموعظة الحسنة لا بد أن تؤتي ثمارها ولو بعد حين؛ فالسحرة في لحظة إيمان استعادوا الأفكار والتعاليم التي

(١) سورة طه : من الآية ٧١ .

سمعوها من هارون وموسى فيما مضى ليتزنموا بها على مسمع فرعون والجماهير الحاضرة يوم الزينة الذي تحول إلى يوم بئيس في تاريخ فرعون .

٩. خمود الدعاية المضللة بعد انكسار شوكتها وهزيمتها ؛ فإيمان السحرة وسرد بيانهم الإيماني لم يجد مقاطعة ولا معارضة كلامية من فرعون وقومه ولا وجد حواراً ، وانتهى الإعلام الفرعوني عند آخر تهديد ووعيد لهم ، ولم يؤثر فيهم .

١٠. المواقف الإيمانية العظيمة تشكل تزكيه واقعية للنفس وتمهد الطريق إلى الجنة .

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۗ ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ۖ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَا غَشِيَهُمْ ۗ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ۗ ﴿٧٩﴾ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْجَيْنَاكَم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ ۗ ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۗ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ۗ ﴿٨٢﴾ ﴾ (١) .

الثالث : (الطور الجديد في حياة بني إسرائيل) :

(أ) المبحث الأول : غرق فرعون بعد خروج بني إسرائيل :

(١) سورة طه : الآيات ٧٧ : ٨٢ .

بعد أن أنهى فرعون حسابه مع السحرة ؛ أراد أن يأتي بموسى وبمن معه للمحاكمة أو القصاص ، ولكن أمر الله تعالى سبق لموسى ؛ فأوحى الله سبحانه إلى موسى أن يخرج بعباده ليلاً تجاه البحر ، ولفظة عباد هنا للتشريف للمؤمنين الذين اتبعوا موسى .

ومسير الليل كان قد تدرب عليه موسى من قبل ، وهو خبير في الطريق التي أعد لها فخرج مطمئناً بوعده الله ﴿ ... لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾ (١)

وأسرع فرعون وجنده في اللحاق بهم ؛ فشاهد بعضهم بعضاً عند شاطئ البحر ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ (٢) .

ويجيب موسى إجابة الواثق ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (٣) .

وهنا يضرب موسى البحر بعصاه فينشق البحر وينعزل الماء فيعبر موسى ومن معه ويتبعهم فرعون وجنده لاحقين بهم ؛ فيخرج موسى وقومه ومن معه ، ويغرق فرعون وجنوده ، وبهذا يكون فرعون جر على قومه الويل والهلاك وما هداهم سبيل الرشاد .

ويذكر الله سبحانه بني إسرائيل بما أنعم عليهم ليبدؤوا حياة آمنة مطمئنة وأنزل عليهم من السماء رزقاً وحذرهم من الطغيان حتى لا ينزل بهم غضبه فاتحاً لهم باب التوبة لمن يخطئ ويستغفر .

المضامين التربوية .

(١) سورة طه : من الآية ٧٧ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ٦١ .

(٣) سورة الشعراء : الآية ٦٢ .

١. المبادرة والسرعة في درء الأخطار والاستعانة على ذلك بالسر والكتمان حتى لا يستفيد العدو من خبر تحركات المؤمنين ﴿... أَنْ أَسْرِبَ عِبَادِي...﴾^(١) أى سربهم ليلاً.
٢. رفع المعنويات والتطمينات الحقيقية للجند هو درس للقيادة في دعم أفرادها في الملمات الصعبة ﴿... لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾^(٢).
٣. الحرص واليقظة والتنبيه لتحركات العدو وملاحقته. ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ...﴾^(٣).
٤. التواضع في وصف النصر الذي تحققه الأمة ، وعدم الإطالة في التشنيع والمهاترات فالنص القرآني اختصر القضاء على فرعون وجنده بقول. ﴿... فَغَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْمِ مَا غَشِيَهُمْ﴾^(٤).
٥. الهدف من المواجهات بين المؤمنين وأعدائهم في المنظر الإسلامي تحقيق الهداية للبشر، ورفع سلطان القيادات الضالة التي تعمل على انحراف مسيرة الإيمان عند الناس ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾^(٥).
٦. الاهتمام بالإصلاحات الداخلية ، وخصوصاً الاقتصادية منها وتحقيق الأمن الغذائي كمطلب رئيس ، وذلك فور انتهاء المواجهات مع الأعداء

(١) سورة طه : من الآية ٧٧ .
 (٢) سورة طه : من الآية ٧٧ .
 (٣) سورة طه : من الآية ٧٨ .
 (٤) سورة طه : من الآية ٧٨ .
 (٥) سورة طه : الآية ٧٩ .

﴿ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْنَيْنَاكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ
الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ (١).

٧. التحذير من الرخاء والحياة الرغيدة أن تؤدي بأصحابها إلى الطغيان
ومن ثم حلول غضب الله تعالى ، حال عدم الشكر على نعمه . ﴿ كُلُّوا
مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ... ﴾ (٢).

٨. التعامل مع الأخطاء والزلات العابرة بروح التسامح شريطة الإيمان
والاجتهاد في المجال الإصلاحي والتسديد نحو الهداية . ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ
لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ (٣).

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ ﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَتْرَىٰ
وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ
وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ
أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ
عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ
بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى
السَّامِرِيُّ ﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا
إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ (٤).

(١) سورة طه : الآية ٨٠ .

(٢) سورة طه : من الآية ٨١ .

(٣) سورة طه : من الآية ٨٢ .

(٤) سورة طه : الآيات ٨٣ : ٨٩ .

(ب) المبحث الثاني : تجسيد ردة بني إسرائيل في قصة السامري :

ما بين نجاة بني إسرائيل من فرعون في البحر وقضية السامري وصناعة العجل، وبين غياب موسى لميقات ربه ؛ كانت ردة لبني إسرائيل خلال فترة وجيزة، لا تتجاوز الأربعين يوماً ﴿ ﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مَّقْتُ رَبِّهِ ۚ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ ۖ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (١) .

وموسى ﷺ يوصى أخاه هارون وهو يستشعر شيئاً من الفساد في نفوس بني إسرائيل ؛ فقد سبق وأن سألوا موسى أن يجعل لهم صنماً ليعبدوه . يقول الله تعالى : ﴿ وَجَوْرْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ (٢) .

وعند مواعدة موسى لميقات ربه يلبث بنو إسرائيل أن انقلبوا على أعقابهم كفراً وظلماً . ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (٣) .

وكان " موسى اختار من قومه سبعين رجلاً حتى يذهبوا معه إلى الجبل ليأخذوا التوراة ، فسار بهم ، ثم عجل موسى من بينهم شوقاً إلى ربه ﷻ ، وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل ، فقال الله تعالى : ﴿ وَمَا

(١) سورة الأعراف : الآية ١٤٢ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٣٨ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٥١ .

أَعَجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوَسَى ﴿٨٣﴾^(١) قَالَ مَجِيباً لِرَبِّهِ تَعَالَى : ﴿... وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾^(٢) ؛ لَتَزِدَادَ رِضَا ﴿... قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ ... ﴿٨٥﴾^(٣) أَي ابْتَلَيْنَا الَّذِينَ خَلْفَتَهُمْ مَعَ هَارُونَ^(٤) ﴿... وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾^(٥) .

وبغض النظر عن شخصية السامري وقوميته ؛ فالنصوص توحى بأنه رجل استغل فترة غياب موسى ، ونزعة الصنمية في نفوس بني إسرائيل ؛ فصنع لهم عجلاً من الحلي برسم التزيين في عيد لهم قبيل الخروج من مصر^(٦) . كان السامري استخدم شيئاً من موروث الدين والإيمان والآيات ؛ فأخذ ملء كفه من تراب موطئ فرس جبريل ﷺ^(٧) فنبذها " على حلية بني إسرائيل فانقلبت عجلاً^(٨) فعبدوه وقالوا قولاً فاحشاً كما أخبر عنهم القرآن في قوله تعالى:

﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌّ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾^(٩) .

-
- (١) سورة طه : من الآية ٨٣ .
 (٢) سورة طه : من الآية ٨٤ .
 (٣) سورة طه : من الآية ٨٥ .
 (٤) تفسير البغوي ، ج ٣ ، ص ٢٢٧ .
 (٥) سورة طه : من الآية ٨٥ .
 (٦) روح المعاني ، ج ١٦ ، ص ٢٤٦ .
 (٧) التبيان في تفسير غريب القرآن ، ج ١ ، ص ٢٨٩ .
 (٨) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٥٩٦ .
 (٩) سورة طه : من الآية ٨٨ .

وعندما رجع موسى إلى قومه غضب غضباً شديداً وأنب قومه على ما فعلوا فاعتذروا بأعذار لا وجه لها ولا شبهة ، وكان يكفي أن يدركوا حقيقة العجل الصنم وهو لا يتكلم ولا يجيب ولا يملك ضراً ويملك نفعاً .

المضامين التربوية .

١. ابتعاد القيادة عن مسرح الأحداث تترك فراغاً يمكن أن يستغل من قبل المغرضين ، فغياب موسى في ميقات ربه استغله السامري ؛ فأضل القوم عن سواء السبيل .

٢. التربية الإيمانية تحتاج إلى فترات طويلة متعاقبة ؛ حتى تمسح الرواسب الجاهلية العالقة في أذهان ونفوس حديثي العهد بالإيمان .

٣. خطورة الفتن الفكرية والعقدية حيث تؤدي غالباً إلى الضلال وربما الكفر والإلحاد

٤. التمسك بأمور دينية تشريعية ؛ لا يكفي ولا يدل على سلامة الاعتقاد بالضرورة .

فبنو إسرائيل أرادوا التخلص من أوزار الحلي المستعارة من القبط بزعمهم فألقوها في صياغة العجل الذي عبده ؛ حيث استدرجهم لذلك السامري .

٥. ضرورة الوعي والتنبيه لدعوات المغرضين في استغلال بعض الأحكام

الدينية عند البسطاء من الناس .

٦. التلطف بالجهلة والمنحرفين في دعوتهم وتصحيح مسارهم وسلوكهم

حتى لا يتسع الخرق على الراقق. ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَنْقُومِ أَلَمَ يَْعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا ... ﴾^(١). ولفظة " يا قوم " فيها شيء من التحبب والتقرب .

٧. الاستماع إلى حجة الجاهل وإن كان لا قيمة لها ، ولكنها في النهاية

تفيد في معرفة مصدر الضلال الذي ينفت في خلد الجاهلين ﴿ ...

فَقَدَفْنَهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَىٰ السَّامِرِيُّ ﴾^(٢) .

٨. استخدام الخطاب والحوار العقلاني وقطع الشبهات عقلا مقصد من

مقاصد الشريعة لا غني عنه ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا

يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾^(٣) .

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَنْقُومِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ۗ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ

فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾^(٤) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ

إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿ قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴾^(٥) أَلَّا تَتَّبِعَنِ

أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾^(٦) قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنَّي خَشِيتُ

أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾^(٧) .

(١) سورة طه : من الآية ٨٧ .

(٢) سورة طه : من الآية ٨٧ .

(٣) سورة طه : الآية ٨٩ .

(٤) سورة طه : الآيات ٩٠ : ٩٤ .

(ج) المبحث الثالث : هارون في مواجهة المحنة :

لم يترك هارون عليه السلام " الحبل على الغارب " ^(١) في فتنة إسرائيل وعبادتهم العجل وإنما حاورهم وبين لهم ، وخاطب عقولهم ووجدانهم ، وتودد إليهم :

﴿ ... يَنْقُومِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ^ط وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ ^(٢)

يقول هارون : " إنما فتنتم به - العجل - إنما اختبر الله إيمانكم ومحافظتكم على دينكم بهذا العجل الذي أحدث فيهم الخوار؛ ليعلم به الصحيح الإيمان منكم من المريض القلب الشاك في دينه " ^(٣) .

ولكن القوم لم يستجيبوا لنصح خليفتهم النبي : ﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ ^(٤) ؛ " أي لن نزال مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع إلينا موسى ؛ فننظر هل يعبده كما عبدناه " ^(٥) .

ويعود موسى عليه السلام على أخيه هارون في الحوار بعد أن انتهى من حوار قومه الذين أوصلوه إلى طرف خيط الضلال " السامري " ، وكان حواراً قاسياً

(١) الغارب : ما بين السنام إلى العنق ، ومنه قولهم حبلك على غاربك ؛ أي اذهبى حيث شئت - الناقة - ، مختار الصحاح ، ص ٤٧٠ - ٤٧١ .

(٢) سورة طه : من الآية ٩٠ .

(٣) تفسير الطبري ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .

(٤) سورة طه : الآية ٩١ .

(٥) تفسير القرطبي ، ج ١١ ، ص ٢٣٧ .

مع هارون فأين الأثر والدفاع عن الدعوة وهو موكل بها ومستخلف من قبل موسى ، ونبي مشارك منذ بداية الدعوة والنبوة ؟ .
فوجد موسى صب على أخيه " جام غضبه منكرًا تقصيره في تحمل مسؤوليته فيطلب منه أخوه ألا يشمت به الأعداء ؛ فقد استضعفوه وكادوا يقتلونه " (١) .

ونجد الانفعال الناتج عن غضب موسى يتحرك وينتقل بصورة عنيفة فيشد رأس أخيه ولحيته ، ووجد في المقابل شخصية هارون الهادئة الرزنية من غير انفعال فهو عليه السلام محاور ودبلوماسي من الطراز الفريد ، ولم يكن ذلك عن ضعف ولا هوان فهو غلب المصلحة العليا وأخذ بأقل الضررين ؛ مداراة لبني إسرائيل خشية الانقسام والاختلاف والتفرق ﴿ ... إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ (٢) .

وهكذا نجد هارون أهدأ أعصاباً وأملك لانفعاله من موسى ؛ فهو يلمس في مشاعره نقطة حساسة ، ويجيء له من ناحية الرحم وهي أشد حساسية ، ويعرض له وجهة نظرة في صورة الطاعة لأمره حسب تقديره ، وأنه خشي إن هو عالج الأمر بالعنف أن يتفرق بنو إسرائيل شيعاً ؛ بعضها مع العجل وبعضها مع نصيحة هارون ، وقد أمره بأن يحافظ على بني إسرائيل ولا يحدث فيهم أمراً " (٣) .

(١) لغة الحوار في القرآن الكريم ، ص ٤٩ .

(٢) سورة طه : الآية ٩١ .

(٣) في ظلال القرآن ، ص ٢٣٤٨ .

واستطاع هارون بحنكته وهدوئه أن يمتص الغضب الثائر في نفس موسى ليتجه مبدأ المحاسبة والمحاكمة في مساره الصحيح والأساس، وعدم إهدار الجهود في معالجات جانبية؛ فنرى موسى بعد ذلك قد اتجه إلى السامري يحاوره ويحاكمه
المضامين التربوية :

١. قوة السلطان توجد عند الناس رادعاً أقوى من سحر الموعظة وحجة العقل والبيان وهي هنا متمثلة بموسى عليه السلام؛ فكان غيابه قد أغرى الإسرائيليين في التمرد على وعظ هارون ونصيحته؛ لذلك نرى في الأثر : " إن الله لينزع بالسلطان ما لا ينزع بالقرآن " (١).
٢. الجهل والضلال يقترنان غالباً بالعناد ، ﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَكِيفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ (٢).
٣. الثقافة والفصاحة والبيان علامات فارقة في بناء الشخصية السياسية المحنكة
٤. الانقسام والتفرق والاختلافات الكبيرة لا تقل خطورة عن الانحراف العقدي والفكري ، بل إن الدولة تستوعب الخلاف ، ولكن الاختلاف والنزاع والتفرق لا يقيم دولة ولا يساهم في إنشائها .
٥. الصبر والتحمل للانفعالات الشخصية ظاهرة صحية في استيعاب الخلاف لتغليب المصلحة العامة .

(١) هذا الأثر ذكره ابن كثير مرفوعاً في تفسيره ، ج ٣ ، ص ٦٠ ، وذكره ابن تيمية في فتاويه منسوباً إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه . أنظر مجموع الفتاوي ، ج ١١ ، ص ٤١٦ .
(٢) سورة طه : الآية ٩١ .

٦. تفعيل الاتصال بين أفراد الدعوة ورجالات الحكم والسياسة ، وسائر الأجهزة والمؤسسات - ومنها التعليمية - يثري العملية التربوية والاجتماعية والسياسية وغيرها في معالجة الأخطاء أولاً بأول ؛ فانقطاع الاتصال بين موسى وهارون كان له أثر سلبي في مجتمع بني إسرائيل .

٧. القوى الفكرية والدينية مسئولة بشكل رئيس في تقويم وتصحيح مسار المجتمعات فموسى أخذ بلحية أخيه ورأسه الديني ؛ في إشارة إلى الدور والفكري (العقلي).

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَنْسَمِرِي ۖ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٥٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخَلَّفَهُرُ وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٥٧﴾ إِنَّمَا إِلْهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (١)

(د) البحث الرابع : محاكمة السامري :

علم موسى من بني إسرائيل أن بذرة الانحراف عندهم في فترة غياب موسى كانت بفعل السامري ؛ فسأل موسى السامري عما فعل فاعترف السامري في تعريض واضح لإبراز قدراته العلمية والدينية ، وإن شاب ذلك كله إقرار بما سولت له نفسه من شر عاد بالضلال على بني إسرائيل .

(١) سورة طه : الآيات ٩٥ : ٩٨ .

ويري الخفاجي (١) : أن " حال شخصية السامري لا تختلف عن شخصية فرعون فهو الرجل الموهوب الذي برع في فن صناعة التماثيل ، كما وضع في صنع تمثال أجوف لعجل من البقر ، وهو أيضاً صاحب معرفة بالعلوم التطبيقية المتعلقة بالمعادن وخواص الصوت الفيزيائي ، وهو ذو حظ وافر من المعرفة اللاهوتية المصرية القديمة ، التي أعادته إليها بعد إيمانه بموسى وربه " ويبدو أن شخصية السامري هي أقرب إلى شخصية السحرة منها إلى شخصية فرعون ؛ فسمه الاستكبار والتعالي الفرعوني لم تظهر فيه خلال الحوار مع موسى .

وإذا كان المجتمع الفرعوني يعج بالعجائب من علوم السحر والعمارة والطب والتحذيط ؛ فإن شخصاً كالسامري يحرص بمواهبه أن يكون له في المجتمع شهرة تشير إليه بالبنان ؛ هذا هو الهدف الظاهر فألبسه لباس الدين كما يفعل المشعوذون والكهنة لاكتساب شيء من الشرعية المزيفة فيما يفعلون ؛ لذلك كانت المحاكمة التي عقدها له موسى ﷺ ، تجازيه بعقوبة من جنس العمل ؛ لذلك كان القرار الموسوي : ﴿ قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ... ﴾ (٢)

والمعنى : " اذهب مطروداً لا يمسك أحد لا بسوء ولا بخير ولا تمس أحداً وكانت هذه إحدى العقوبات في ديانة موسى ؛ عقوبة العزل وإعلان الدنس المدنس ؛ فلا يقربه أحد ولا يقرب أحداً " (٣) .

(١) رؤية فنية لنص قرآني ، ص ٦٣ .

(٢) سورة طه : من الآية ٩٧ .

(٣) في ظلال القرآن ، ص ٢٣٤٩ .

أما ما يخص إعراضه عن الآخرة والثواب فجزاؤه يوم القيامة
 ﴿... وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ...﴾ (١).

ويبقى الإله المصنوع من المعدن؛ فينسبه موسى إلى صانعه المهين
 ﴿... وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا...﴾ (٢). تبرؤاً ورداً على
 مقولتهم: ﴿... هَذَا إِلْهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ (٣). فلم ينس موسى
 إعادة الاعتبار إلى نفسه وإلى أخيه وإلى العقيدة والرسالة التي يحمل، ولم
 ينسى أن يعيد العجل المصنوع إلى حالته الأولى بالصهر والإحراق ﴿...
 لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (٤) أي: لنذرينه في البحر (٥).
 "وعلى مشهد الإله المزيف يعلن موسى - ﷺ - حقيقة العقيدة (٦):
 إِنَّمَا إِلْهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (٧)
 ؛ أي: "وسع علمه كل شيء" (٨).

المضامين التربوية:

١. مشروعية سؤال المتهم حول ما ينسب إليه، وإتاحة المجال له للدفاع
 عن نفسه تحقيقاً لمبدأ العدالة في المحاكمات.
٢. تفاوت الناس بالملاحظة والعلم وتقرير مبدأ الفروق الفردية ﴿...
 بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ...﴾ (١).

(١) سورة طه: من الآية ٩٧.
 (٢) سورة طه: من الآية ٩٧.
 (٣) سورة طه: من الآية ٨٨.
 (٤) سورة طه: من الآية ٩٧.
 (٥) الدر المنثور، ج ٥، ص ٥٩٧.
 (٦) في ظلال القرآن، ص ٢٣٤٩.
 (٧) سورة طه: من الآية ٩٨.
 (٨) زاد المسير، ج ٥، ص ٣٢٠.

٣. المعاقبة للمسيء بالمقدار الذي يفسده وأن تكون العقوبة من جنس العمل .

٤. التعريض بالمواقف المنحرفة ؛ حتى وإن كانت منسوبة لأشخاص من ذوي اعتبارات معينة، ﴿ .. وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا .. ﴾ (٢) .

٥. إخفاء مظاهر الفساد والإضلال بحيث لا يفسح أي مجال لتعلق أصحاب الأهواء بها ﴿ ... لَنْحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنْنَسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ (٣) .

٦. عدم صرف العبادة لإله الله الذي لا إله إلا هو .

٧. العلم الحقيقي هو العلم الذي يتلقاه الناس عن الإله الواحد الأحد الذي يعلم كل شيء ووسع علمه كل شيء .

﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٦﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمَلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿٩٧﴾ خَلْدَيْنَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿٩٨﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿٩٩﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٠﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠١﴾ ﴾ (٤) .

الرابع: (العبرة والعظة من القصص القرآني، وذكر بعض أهوال يوم القيامة):

الباب الأول : النفخ في الصور وحشر المجرمين .

والخطاب هنا للنبي ﷺ بعد انتهاء قصة موسى في السورة .

(١) سورة طه : من الآية ٩٦ .

(٢) سورة طه : من الآية ٩٧ .

(٣) سورة طه : من الآية ٩٧ .

(٤) سورة طه : الآيات ٩٩ : ١٠٤ .

وهي واحدة من قصص عديدة منها ما مضى ومنها ما هو قادم .
وهذا " الوعد الجميل بتنزيل أمثال ما مر من أنباء الأمم السالفة . وذلك
إشارة إلى اقتصاص حديث موسى عليه السلام ، وما فيه من معنى البعد للإيذان يعلو
رتبته وبعد منزلته في الفضل " (١) .

وفي الآيات تثبت للنبي صلى الله عليه وسلم تكثيراً وزيادة في معجزاته ومحل عبرة
واستبصار للمكلفين (٢) .

وإذا كان القرآن يذكر العبر والأحداث والتاريخ ، ويذكر بها فإن
الإعراض عنه وعن توجيهاته يعتبر نكسة في حياة المعرضين وسوف يحمل
نتيجة ذلك كل فرد معرض وزراً . والوزر هنا يأتي بصيغة المفرد ليكون وحده
مشعراً بالثقل الذي يوازي كل الأوزار يوم القيامة :

﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمَلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ۗ خَلْدَيْنَ فِيهِ وَسَاءَ
هَمُّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ۗ ﴾ (٣) .

وكفى بذلك حملاً لعقوبة " ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه " (٤) . واليوم
المشار إليه يوم رهيب هو ينفخ فيه في الصور فتسمعه الأموات وتخرج من
قبورها ، وصفه الله تعالى بقوله :

(١) تفسير أبي السعود ، ج ٦ ، ص ٤٠ (المسمى : إرشاد العقل السليم)
(٢) تفسير الفخر الرازي ، ج ١١ ، ص ١١٣ ، (المسمى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب) .
(٣) سورة طه : الآيات ١٠٠ : ١٠١ .
(٤) تفسير البيضاوي ، ج ٤ ، ص ٦٩ .

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (١)

وفي سورة طه تكشف الآية عن حال المجرمين الذين أعرضوا عن الذكر الحكيم كيف يكون حالهم وكيف تمتنع ألوانهم فتتحول من هول الموقف إلى اللون الأزرق :

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (٢)

ويرى البيضاوي في تفسيره أن المجرمين يحشرون يوم القيامة " زرق العيون وصفوا بذلك لأن الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها عند العرب ؛ لأن الروم كانوا أعدى أعدائهم وكانوا زرق العيون " (٣)

وتفسير الآية محل خلاف والبيضاوي أجهد نفسه في تحميل النص ما لا يحتمل فالآية تقول : ﴿ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (٤) . فحصر الزرقة في العيون وقوله إن الزرقة أسوأ ألوان العين غير مسلم به، والجمال نسبي مختلف المقاييس ، وكون الروم أعدى أعداء العرب كما يقول لا يلزم من ذلك بغض ألوان عيونهم .

وروى ابن عباس قال : لما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال للجد ابن قيس : ما تقول في مجاهدة بنى الأصفر؟ قال يا رسول الله إني امرؤ صاحب نساء ومتى أرى نساء بني أفتتن أفتاذن لي في الجلوس ولا تفتني ؟ (٥)

(١) سورة النمل : الآية ٨٧ .

(٢) سورة طه : الآية ١٠٢ .

(٣) تفسير البيضاوي ، ج ٤ ، ص ٦٩ .

(٤) سورة طه : من الآية ١٠٢ .

(٥) مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٣٠ . والحديث رواه الطبراني في الكبير ج ١١، ص ٦٣، بلفظ قريب وفي الأوسط، وفيه يحيي الحماني وهو ضعيف .

وفسر النسفي الآية ﴿... وَخَشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾^(١)؛ "أي عمياً... وهذا لأن حدقة من يذهب نور بصره تزرق"^(٢) وهو تعليل قريب لو انحصرت الزرقة في العيون .

وفي "خزانة الأدب" : أحال بعض الألوان إلى المجاز؛ فقال الأزراري "والموت الأحمر كناية عن الفقر، والعدو الأزرق : الشديد العداوة والأصل فيه العطش وبه فسر قوله تعالى ﴿... وَخَشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾^(٣) أي عطاشاً"^(٣) .

والعلاقة بين النفخ في الصور وحشر المجرمين يوم القيامة أنهم صموا آذانهم عن سماع الذكر في الحياة الدنيا فجاء نفخ الصور ليخرق أسماعهم ويفزع قلوبهم .

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾^(٤)

ثم تشير الآية إلى الحوار الجاري بين المجرمين ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ...﴾^(٥) أي يقول بعضهم لبعض ﴿... إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾^(٦) أي في الدار الدنيا لقد كان لبتكم فيها قليلا عشرة أيام أو نحوها ، قال الله تعالى : ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ...﴾^(٧) أي في حال تناجيتهم بينهم ﴿... إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً...﴾^(٨) أي العاقل الكامل فيهم ﴿... إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾^(٩) أي

(١) سورة طه : من الآية ١٠٢ .

(٢) تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٦٧ .

(٣) خزانة الأدب ، ج ٢ ، ص ٤٩٨ .

(٤) سورة ق : الآية ٤٢ .

(٥) سورة طه : من الآية ١٠٣ .

(٦) سورة طه : من الآية ١٠٣ .

(٧) سورة طه : من الآية ١٠٤ .

(٨) سورة طه : من الآية ١٠٤ .

(٩) سورة طه : من الآية ١٠٤ .

لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد لأن الدنيا كلها وإن تكررت أوقاتها وتعاقبت لياليها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد " (١) .

ويترك المجرمون أمام مصيرهم المشئوم لا يجابون ولا يرد عليهم أحد في نجواهم وحوارهم لينتقل الحديث بعدها إلى الجبال ونسفها وهي الأكبر شأناً والأعظم حجماً ووزناً فمن يعبأ بهم بعدها ؟ .

المضامين التربوية .

١ . الاهتمام بدراسة التاريخ والاعتبار بقصص الغابرين .

٢ . القرآن سجل مشرف للمؤمنين فيه وسوف يرفع من شأنهم ويخلد ذكرهم في الحياة كلما اتبعوه .

٣ . الإعراض عن القرآن يجلب اللعنة على الأمم والأفراد وسيكون ذلك يوم القيامة من أعظم الأوزار .

٤ . النفخ في الصور ينبه المكلفين إلى ضرورة الاستماع والإنصات في الحياة الدنيا وأن المعرضين إذا استثقلوا الاستماع في الدنيا فلن يكون صوت الحق أصعق من نفخ الصور، ولا حمل الأمانة أثقل من حمل الأوزار يوم القيامة .

٥ . الذكر وتعاليمه ينفخ الحياة والروح والنور في المقبلين عليه في الدنيا والصور ينفخ الحياة في الأموات فلن يفلت المجرمون من قبضة العقاب .

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٦٦ .

٦. الجدل والحوار الدائر بين المجرمين يدل على تمسكهم بالحياة الدنيا فهم ما زالوا يسألون عن لبتهم فيها ويقع منهم خطأ إحصاء الأيام وكأنهم ما ماتوا ولا استراحوا ولا ناموا فهم من نكد الدنيا إلى عذاب الآخرة لا راحة ولا هناء .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (١)

الباب الثاني ، نسف الجبال ،

هذا المقطع من الآيات يكشف جانباً من نفسية العرب في الصدر الأول من الإسلام وهم حديثوا عهد بجاهلية .

فهم مأخوذون بتشكلات المادة في الكون ، منبهرون أمام عظمة الجبال والنص القرآني يجيب على تساؤلهم بعنف ينزع من قلوبهم تلك العظمة للمادة ؛ فالعظمة لا تكون إلا لله وحده خالق الكون وخالق الجبال .

والنبي ﷺ يمسح قلوب المؤمنين بيده الحانية فيخفف عنهم عناء التفكير في هذه الجبال ليصل بهم بالأسلوب القصصي إلى الحقيقة والهدف فلكل قصة عبرة ولذلك نجد في مسند أحمد ما يرويه أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: " لما خلق الله ﷻ الأرض ؛ جعلت تميد فخلق الجبال ، فألقاها عليها فاستقرت

(١) سورة طه : الآيات ١٠٥ : ١١٠ .

فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت : يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال : نعم الحديد ؛ قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال نعم النار ، قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال : نعم الماء ، قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال : نعم الريح ، قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال نعم ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها من شماله^(١)

إذن العمل الصالح ومنه الصدقة الخفية أعظم من الجبال فينسف الجبال ويبقى العمل الصالح ؛ يذهب الجبال عن أماكنها ويمحقها ويسيرها تسييراً

﴿ ... فَيَذَرُهَا ... ﴾^(٢) أي الأرض ﴿ ... قَاعًا صَفْصَفًا ﴾^(٣) أي بساطاً واحداً .

والقاع هو المستوى من الأرض والصفصف تأكيداً لمعنى ذلك . وقيل الذي لا نبات فيه ﴿ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾^(٤) لا ترى في الأرض يوم إذن لا رابياً ولا مكاناً منخفضاً ولا مرتفعاً^(٥) .

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ... ﴾^(٥) فالاتباع كان في الدنيا اختيارياً لا جبرياً ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَأَعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ... ﴾^(٦) .

(١) مسند أحمد ، ج ٣ ، ص ١٢٤ .

(٢) سورة طه : من الآية ١٠٦ .

(٣) سورة طه : الآية ١٠٧ .

(٤) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٦٦ .

(٥) سورة طه : من الآية ١٠٨ .

(٦) سورة القصص : من الآية ٥٠ .

وأما يوم القيامة فلا خيار وانتقاء. هناك داع يدعو الناس ويأمرهم
ويسيرون خلفه إلى أماكن الحشر أو إلى أماكن العذاب والكل مندهش محتار
لا يدري أهو إلى الجنة أم إلى النار.

وكان أولى بالاتباع الأنبياء والرسل يوم كان يكذب المجرمون وفي شدة
الهول تخشع الأصوات فلا كلام إلا همسا ، ولا شفاعاة إلا لمن أذن له الرحمن
وعلم أن في كلامه خيراً . وهذا لا يتأتى لأحد من الناس إلا أن يكون نبياً أو
صديقاً أو شهيداً أو صالحاً يرضي الله له قولاً .

فالله يعلم بعباده ما قدموا وما أخرجوا من عمل وهم لا يعلمون ولا
يحيطون بشيء من العلم إلا ما علمهم الله سبحانه .

المضامين التربوية .

١. المظاهر الكونية تدعو إلى وحدانية الله تعالى حيث إنها آيلة إلى زوال
فالتعظيم والعبادة لا تنصرف إلا إلى الله خالقها والذي يفنيها .
٢. هناك تغيير كوني في الكواكب ونظامها ينتظر البشرية ، وبالتالي لا بد
من التفكير بالحياة البديلة في الآخرة والإعداد لها .
٣. الاعوجاج لا يدوم مهما طال الوقت والاستقامة هي الحالة التي تنعم
بالمهدوء والاستقرار .
٤. المراكز الاجتماعية في الدنيا تزول بزوالها وعباد الرحمن هم وحدهم
المرشحون في الآخرة للشفاعة وهم الذين أحسنوا العمل في الدنيا
ويحسنون القول في الآخرة .

٥. العلم الإنساني يبقى محدوداً قليلاً مهما بلغ ويبقى كذلك في الآخرة بمعنى أن التجدد العلمي لا يتوقف ؛ فهو دائم وقائم بدوام الله وبقائه

﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۗ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١٤﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٦﴾ فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۗ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٧﴾ ﴾ (١).

الباب الثالث ، العدالة الإلهية ،

الصفات الإلهية مطلقة غير محدودة وفي ظل أهوال يوم القيامة وانبعاث الخلق والوقوف للحساب تتجه قلوب العباد إلى الله تعالى ويأسرها الموقف فتتقاد الوجوه لبارئها بصفته واسمه الأعظم الحي القيوم حيث انبعاث الحياة ودوامها ، وحيث تستلم "الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت ، القيوم الذي لا ينام وهو قيم على كل شيء فقير إليه لا قوام له إلا به" (٢) .

وهنا يكون الخلق في أمس الحاجة إلى الرحمة والمغفرة ومع وقوع المفاجأة للعصاة والمذنبين والظالمين إذ الرهبة والخوف وحشر المجرمين يمتد صوت الحق بالعدل المطلق ، فالسيئة بمثلها لا ظلم ولا زيادة وخاب وخسر من فعل ظلماً في الدنيا وجاء به يحمله يوم القيامة يلزمه ولا يحميه عنه .

(١) سورة طه : الآيات ١١١ : ١١٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٦٧ .

أما الذين عملوا الصالحات من المؤمنين فلا ظلم اليوم لهم ولا تهضم حقوقهم وحسناتهم . وفي الحديث الشريف : " يقول الله ﷻ : وعزتي وجلالي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم فينصف الخلق بعضهم من بعض " (١) .

والقرآن الكريم هو الدستور في الدنيا والآخرة لا يختلف ولا يتغير أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين ظاهر المعاني والدلائل " فصيح لا لبس فيه ولا عي

﴿ ... وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ... ﴾ (٢) أي يتركون المآثم والمحارم والفواحش ﴿ ... أَوْ تُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ وهو إيجاد الطاعة وفعل القربات ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ ... ﴾ (٣) أي تنزهه وتقده الملك الحق الذي هو حق ، ووعدده حق ، ووعيدده حق ، ورسله حق ، والجنة حق ، والنار حق ، وكل شيء منه حق ، وعده تعالى ألا يعذب أحداً قبل الإنذار وبعثة الرسل والأعدار إلى خلقه " (٤) .

فالموضوع إذن كبير جليل عظيم والعلم فيه عزيز لا ينفذ ، وكما أخبر النبي ﷺ في بداية السورة ﴿ طه ﴾ ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ (٥) ؛ فهو سبحانه هنا يقول : ﴿ ... وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ... ﴾ (٦) " فلا تعجل بحفظه قبل فراغ جبريل لأننا ﴿ سَنُقْرُكَ فَلَا

(١) المصدر السابق ، ومجمع الزوائد ، ج ١٠ ، ص ٣٥٣ ، وقال الهيثمي : وفيه يزيد بن ربيعة وقد وضعه جماعة وقال ابن عدي : أرجو أنه لا بأس به ، وبقية رجاله ثقات .

(٢) سورة طه : من الآية ١١٣ .

(٣) سورة طه : من الآية ١١٤ .

(٤) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٦٧ .

(٥) سورة طه : الآيات ١ : ٢ .

(٦) سورة طه : من الآية ١١٤ .

تَنَسَّى ﴿٦﴾ ﴿١﴾ ، ولا تتعجل بحكمه فسوف ينال الظالمون جزاءهم . في الوقت المناسب ، وما عليك إلا أن تتزود من علمه الذي " لا تنقضي عجائبه " (٢) ، ﴿.. وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿٣﴾ وفي الحديث الشريف يقول النبي ﷺ : " اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً .. " (٤) ، أما الحديث المشهور : " إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علماً فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم " فقد ذكره الجرجاني وطعن في أحد رواته "بقية" واصفاً إياه أنه منكر (٥) ، وقال الطبراني "تفرد به بقية ولا يروى عن رسول ﷺ : إلا بهذا الإسناد " (٦) . وقال الهيثمي (٧) في أحد رواته : " رواه الطبراني في الأوسط وفيه الحكم بن عبد الله قال أبو حاتم : كذاب . "

وأرى أن متن الحديث يدل على ما قيل فيه لأن الدعاء بنزع البركة من يوم معين غير معهود في الهدى النبوي والمعروف النهي عن سب الدهر والأيام .
المضامين التربوية .

١ . ظلم الدنيا محمول في أعناق أصحابه إلى يوم الدين .

وفي ذلك دعوة للتحلل منه ، ورد الحقوق إلى أصحابها قبل فوات الأوان .
حسن الظن بالله لمن آمن وعمل صالحاً .

﴿.. فَلَا تَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ ﴿٨﴾ .

(١) سورة الأعلى : الآية ٦ .
(٢) المستترك على الصحيحين ج ١ ، ص ٧٤١ .
(٣) سورة طه : من الآية ١١٤ .
(٤) سنن الترمذي .
(٥) الكامل في ضعفاء الرجال ، ج ٣ ، ص ٢٩٤ .
(٦) المعجم الأوسط ، ج ٣ ، ٣٦٧ .
(٧) المعجم الزوائد ، ج ١ ، ص ١٣٦ .
(٨) سورة طه : من الآية ١١٢ .

٢. نزول القرآن باللغة العربية فيه دلالة على إقامة الحجة على من ينطقون باللغة العربية قبل غيرهم . فلا مندوحة^(١) . في غير اتباعه .
٣. الوعد والوعيد في القرآن الكريم يحد في النشء والأجيال دافعية للتقوى والعمل الصالح ويترك أثراً طيباً في تاريخهم .
٤. التغيير في واقع السلوك يحتاج إلى تأن وعدم استعجال لتتوافق النظرية مع واقع العمل وتكون التهيئة قد حصلت ومهد لها ليتم التوافق والقبول من غير إكراه على الفعل ولا تنفير .
٥. طلب المزيد من العلم بلا توقف ليكون المجتمع دائم التقدم والتطور .
٦. للوصول إلى المزيد من العلم والفهم لا بد من الاستعانة بالله الذي يهب العلوم ويبارك في السائرين على درب العلم والتعلم .

(١) مندوحة ١ سعة . الغريب لابن قتيبة ، ج ٢ ، ص ٤٨٨ .

الباب الأول : العهد والعزم .

﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوَاءٌ تُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْتَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأِمَّا يَا تَيْنَكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (١).

في ذكر قصة آدم إثر ذكر قصة موسى في سورة طه إعادة تذكير بربط جسر العقيدة والدعوة والنبوة من أول خلق الإنسان إلى قيام الساعة وتذكير بأحد أكبر العوائق في حياة الإنسان إن لم يتنبه لها إنها قضية العداء الدائم مع الشيطان مع وساوسه وأساليبه ومكره وكيف تفتتق الهمة ويلين العزم عند الاقتراب من الاستمتاع أو الشهوات .

وآدم ﷺ تعهد ألا يقرب الشجرة الوحيدة التي نهى عن الاقتراب منها هو وزوجه فنسى العهد واستهوته الوسوس والأمنيات في :

﴿ .. شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (٢).

(١) سورة طه : الآيات ١١٥ : ١٢٣ .

(٢) سورة طه : من الآية ١٢٠ .

فأكلا من الشجرة وفشلا في اجتياز الاختبار، وهي صورة عما يقترفه بنوه من بعده إلى يوم الدين نسيان إتباع للشيطان والشهوات وضياع العزم .
المضامين التربوية :

١. ضرورة الالتزام بالوعود والعهود التي يقطعها الفرد على نفسه ليكون عنصراً فعالاً وجاداً في المجتمع .

٢. النسيان ربما ينشأ عن التهاون وطول الأمد والتهاون في الأمور . وله كذلك ارتباط بالرغبات والشهوات إذا رجحت عند المرء على سائر الواجبات .

٣. العزم يحتاج إلى الحزم وكلاهما مرتبط بمجاهدة النفس والتذكر والمثابرة للوصول إلى الهدف المنشود .

٤. وقوع النسيان ونقص العهود واقع مشهود في الحياة ينبغي لأولى العزم أن يضعوه في الحسبان ؛ كأحد احتمالات الخطأ الناجم عن تتبع الشهوات والنزوات ولوضع مقومات تعديل السلوك في القانون والإدارة للمؤسسات العامة .

الباب الثاني ، سجود الملائكة وعباء إبليس :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾
فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ ﴿١﴾ .

(١) سورة طه : الآيات ١١٦ : ١١٩ .

وموضوع سجود الملائكة لآدم-سجود التحية- وتمرد إبليس على الأمر- حسداً- تحدثت عنه سورة البقرة بالتفصيل ،وهنا تذكر سورة طه لقطات من القصة تتناسب مع موضوع السورة والرسول والرسالة والمجاهدة والتبليغ ومواجهة الظالمين والطغاة وما يمكن أن يوهن فيه الشيطان العزائم من المضي في سبيل تحرير الإنسان من العبودية لشهوات النفس كلها الغريزية والنفسية ، الاجتماعية والسياسية .

وآدم ﷺ جاءه التحذير مسبقاً وأعطى ضمانات الحياة الكريمة في المأكل والمشرب والملبس والتنزه والاستمتاع ؛ فلم يتركه الشيطان كما هو الحال في حياتنا الدنيا لم يترك صاحب نعمة يهنأ حتى تأتيه منغصات الحياة والمعتدين من الناس .

المضامين التربوية :

١. في الإسلام تكريم لبني الإنسان وعليه فينبغي أن يعرف الإنسان قدره ، فلا يحقر نفسه ولا يتورط بما لا يليق بكرامته ومكانته .
٢. العداة الدائم بين إبليس وبنو آدم ينم عن استمرار الحرب النفسية والخفية بين الطرفين . وبالتالي لا بد من التنبه عن الوقوع في الأخطاء والموبقات وإن كانت خطواتها الأولى مزينة بالخير وحسن النية وأداء العمل الصالح .
٣. إذا كانت القوامة في الحياة الأسرية حقاً مشروعاً له فلا يحق له أن يطغي في هذا الحق - كطغيان فرعون - وأن يعمل قصارى جهده

للنهوض بالأسرة للوصول إلى الحالة النموذجية بالعلم والجهد واجتناب السيئات .

٤. الزوج يتحمل القسط الأكبر في حال الفشل في تكوين الأسرة النموذجية - غالباً - وبالتالي فهو الأكثر تضرراً وشقاءً إذا ضحي بالقيم واستهان بنتائج تدميرها ﴿...فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (١) . فذكر الشقاء هنا بصيغة المفرد ليدل على التصاق الشقاء بالرجل أكثر من التصاقه بالمرأة .

٥. الرجل والمرأة شريكان ضامنان في الحياة ، يتحملان مسؤولية الحياة والتربية ، وفقدان حق اللجوء للجنة أو الأسرة يفقد كلاهما الرحمة والطمأنينة والسكون .

٦. تأمين الطعام والشراب والسكن والحياة الكريمة حق أصيل للفرد والمجتمع واجب على أولى الأمر تأمينه كأحد أهم واجبات الراعي نحو الرعية .

الباب الثالث ، المعصية والخروج من الجنة ،

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّعَادُمْ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءَ تَهُمَا وَطَفِقَا مَخَصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ۗ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْتَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ ۗ

(١) سورة طه : من الآية ١١٧ .

وَهَدَىٰ ﴿١٢٣﴾ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَأِمَّا
يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ (١).

الوسوسة : " حديث النفس والأفكار " (٢) ، أما الطريقة التي يخلص فيها
الشیطان إلى نفس الإنسان فما زالت غير معروفة لنا في وسائلنا العلمية
التقليدية .

وللمرء أن يتوصل إلى حقيقة وجودها في النظر إلى المعرفة الغيبية
المكتسبة عن طرق أخرى غير مادية كالرؤى والأحلام " والمكاشفة " (Vision)
كما يسميها النفسيون المحدثون ... وهي مما يلحقه أولئك النفسانيون بهبة
التلباڤي (Telepathy) أو الشعور البعيد (٣) .

وهي مشاعر تنتاب المرء وتدل على المحسوس في كثير من الأحيان منها
الخير ومنها الشرير .

والوسوسة لا تأتي بخير؛ فهي خاصة بالشر والشهوة والفواحش
والعدوان .

وآدم وزوجه اعتديا في الجنة على موقع من المواقع المحذورة فكانت
النتيجة والعقوبة فورية ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ هُمَا سَوْءَ تَهُمَا ... ﴾ (٤)
وهكذا كل خطيئة تربط بنتيجة سيئة لا محالة .

المضامين التربوية :

(١) سورة طه : الآيات ١٢٠ : ١٢٣ .
(٢) النهاية في غريب الحديث ، ج ٥ ، ص ١٨٥ .
(٣) عبقرية عمر ، ص ١٧ .
(٤) سورة طه : الآيات ١٢٠ : ١٢٣ .

١. الوسوسة حديث الشرفي النفس يشكل دافعية مذمومة يمكن تجنبها بالعلم والوعي والإيمان .
٢. وجوب اعتماد التطور الطبيعي في طموحات البشر دون اللجوء إلى " القفز " غير المدروس لتحقيق أهداف قبل أوانها : ﴿ ... هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْجَنَّةِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ۗ ﴾ (١) .
٣. للتربية السوية المستقيمة أثر فعال على الفرد حتى وإن وقع في الخطأ والخطيئة فهو لا يقوي أن يتعايش معها فيلجأ إلى الاعتذار والاستغفار والإقلاع عنها والإصلاح ؛ كرد فعل إيجابي تطهيراً للنفس والجوارح . ﴿ ... وَطَفِقًا مَخَصَّفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ... ﴾ (٢) ﴿ ثُمَّ أَجْتَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ۗ ﴾ (٣)
٤. ضرورة إنزال العقوبة عن طريق سلب النعمة " والتكنولوجيا " من أيدي من لا يحسنون استخدامها وإيداعها الأيدي النظيفة الأمينة التي تستخدمها لصالح البشرية وعمارة الأرض .
٥. اتباع الهدى والتعاليم الإيمانية يوفر على التربويين والأطباء النفسيين والسياسيين وغيرهم عناء معالجة المشاكل والأمراض الاجتماعية الناتجة عن الانحراف والضلال والشقاء ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۗ ﴾ (٤)

٦.

(١) سورة طه : من الآية ١٢٠ .

(٢) سورة طه : من الآية ١٢١ .

(٣) سورة طه : الآية ١٢٢ .

(٤) سورة طه : الآية ١٢٢ .

الباب الرابع ، التحذير من الإعراض عن منعم الله ،

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ (١٤٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٤٦﴾ وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٤٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٤٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسِيًّا ﴿١٤٩﴾ (١) .

في هذا المقطع من السورة يحذر رب العزة والجلال الأفراد والجماعات من الإعراض عن ذكر الله ومنهجه ويتوعد من أعرض عن ذكر الله تعالى - عن القرآن - ﴿ ... وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾ (٢) ، يتوعد بالمعيشة الضنك أي الضيقة " كما قال بعضهم لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه وكان في عيشة ضنك " (٣) .

أما في الآخرة فالجزاء والعقاب أضيّق وأسوأ وأنكى ﴿ ... وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ (١٤٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٤٦﴾ (٤) .
والآيات تشير مرة أخرى إلى ظاهرة النسيان ؛ أما آدم ﴿ ... فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ (١) ، وكذلك أبناؤه من بعده ينسون لا عصمة في هذا الأمر

(١) سورة طه : الآيات ١٢٤ : ١٢٩ .

(٢) سورة طه : من الآية ٩٩ .

(٣) تفسير القرطبي ، ج ١١ ، ص ٢٥٩ .

(٤) سورة طه : من الآيات ١٢٤ : ١٢٦ .

والنبي ﷺ يقول " نسي آدم فنسيت ذريته " (١) ، وذكر ابن أبي شيبة حديثاً عن النبي ﷺ قال فيه : " آفة العلم النسيان وإضاعته أن تحدث به غير أهله " (٢) .
وليس هذا كله النسيان المقصود في الآية الكريمة " لأن النسيان على وجهين أحدهما على وجه التضييع من العبد والتفريط ، والآخر على وجه عجز الناس عن الناس حفظ ما استحفظ ، ووكل به وضعف عقله عن احتماله ...
ومثال الأول : هو النسيان الذي عاقب الله ﷻ آدم صلوات الله عليه فأخرجه من الجنة " (٤) .

والذي نسي آيات الله تعالى فاستحق الحشريوم القيامة أعمى هو الذي تركها ولم يؤمن بها ؛ فكما نسيها اليوم في الدنيا يترك وينسى في النار (٥)
وهذا الأمر يسري على من أسرف في المعاصي والتكذيب للآيات والاستهتار بالوعيد جزاءً وفاقاً في الدنيا والآخرة .

وفي ذلك مدعاة أكيدة لأصحاب العقول أن يتعظوا وهم يشاهدون مساكن الأمم السابقة الذين أخذوا وعوقبوا وأصبحت مساكنهم خاوية على عروشها ، ولو ارتباط الأمور بمقاديرها والعذاب بقيام الحجة والصبر والإمهال لنزل العذاب بالمكذبين والعصاة المذنبين بغتة وفجأة .

(١) سورة طه : من الآية ١١٥ .
(٢) تفسير القرطبي ، ج ٣ ، ص ٧٤ ، ورواه الترمذي في سننه ، كتاب التفسير عن رسول الله ﷺ حديث رقم ٣٠٠٢ .
(٣) مصنف ابن أبي شيبة ، ج ٥ ، ص ٢٨٦ .
(٤) تفسير الطبري ج ٣ ، ص ١٥٥ .
(٥) تفسير الجلالين ص ٤١٨ .

١. الإعراض عن ذكر الله وعن القرآن والسنة يؤدي إلى ضيق العيش ونكده وسوء الأحوال الاقتصادية .
٢. البصر والبصيرة لا يفيد ولا يؤدي إلى الفوز والنجاة وهي قضية لها ارتباط بالاطلاع على أمور الحياة والآخرة من غير تفعيل ولا استبصار أو مقابلتها بالاستهتار واللامبالاة .
٣. السيئ في الدنيا سيكون سيئاً في الآخرة ، فالدنيا هي المزرعة وفي الآخرة يكون الحصاد .
٤. الإسراف في الاستمتاع الحرام والإسراف في الإنفاق لغير حاجة ، والإسراف في الوقت وإهداره باللغو واللعب هو طريق يؤدي إلى الهلاك ، ويلتقي مع طريق المعرضين المنكودين .
٥. الدعوة للاستدلال والاسترشاد لأسباب الكوارث الطبيعية التي تقع في الأرض ودراسة التاريخ والحياة الاجتماعية للأمم السابقة .
٦. عدم الركون والاطمئنان لتأخر العقاب إذا شاعت المعاصي الموبقات ، يقول تعالى ﴿ وَسَتَعَجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١)

(١) سورة العنكبوت : الآية ٥٣ .

السادس: (التوجيهات التربوية العامة في السورة):

﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ
 غُرُوبِهَا وَمِنْ أَنَايِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا
 تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ
 فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْبِرْ عَلَيْهَا لَا
 نَسْأَلُكَ رِزْقًا لَّحْنًا نَرِزُقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ
 مِّن رَّبِّهِ ؕ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ
 بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن
 قَبْلِ أَنْ نَّذَلَ وَنُخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ
 أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١﴾

هذا المقطع من السورة يشكل ملخصاً عاماً للتوصيات والتوجيهات التربوية المتعلقة بمغزى السورة والقصص الواردة فيها . وهي تنير في نفس النبي ﷺ دوافع الصبر والتحمل للإشكاليات المتوقعة من المشركين وخصوماتهم والعداء والأذى والتكذيب والتشكيك ومواقف المنافقين وشبهاتهم وزعزعة الإيمان في بعض النفوس وغير ذلك من الأمور التي تنقطع في جوهرها وصورتها مع ما لاقاه موسى ﷺ من مواجهات مع فرعون وقومه ، وما تحمله من منغصات بني إسرائيل في كثير من مواقف جهاد النفس معهم . لذلك بقيت

(١) سورة طه : الآيات ١٣٠ : ١٣٥ .

تلك المفاهيم في نفس النبي ﷺ لم تغادره لحظة ، فكلما عصفت فيه رياح الأذى من أحد من البشر تذكر أخاه موسى وما لاقاه وعلى سبيل المثال " لما بلغه ابن مسعود قول القائل هذه القسمة ما أريد بها وجه الله؛ شق عليه ﷺ وتغير وجهه وغضب ، ولم يزد على أن قال : "لقد أوزني موسى بأكثر من هذا فصبر" .(١)

ويبدأ المقطع بقوله تعالى : ﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ۝۱۳۰ ﴾ (٢)

والصبر يحتاج إلى هدوء أعصاب ورباطة جأش ، وهي قيم تنشأ وتقوى وتشتد في ربوع التسبيح في الليل والنهار وعلى مدار الساعة ؛ تسبيح بالقلب واللسان وتسبيح بالصلاة والقيام والدعوة واستقطاب المؤمنين والأنصار الأمر يمرى نفس الرسول ﷺ ويرضيها .

وينتهي المقطع بانتهاء السورة بقوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ۝۱۳۵ ﴾ (٣)

وبهذا نجد بداية السورة ونهايتها تلتحم فيها التوجيهات للنبي ﷺ ، وتشكل سوراً يحيط بالسورة كلها كأنه الوعاء الواقي والحفاظ لسيرة نبي عانى

(١) جامع العلوم والحكم ، ج ١ ، ص ١٤٨ .

(٢) سورة طه : الآية ١٣٠ .

(٣) سورة طه : الآية ١٣٥ .

في طفولته وشبابه ودعوته وبين أعدائه وحتى بين بني قومه، وهي سيرة تتشابهك وتتشابه مع سيرة نبينا محمد ﷺ، في معاناة الطفولة واليتم وإيذاء القوم وبني العشيرة باختلاف بين بني إسرائيل الذين كذبوا وارتدوا وآذوا كل الأنبياء وقتلوا منهم ما قتلوا ولعنوا بعدها على لسان داود وعيسى كما جاء النص الجليل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (١)

في الوقت الذي امتدح الله تعالى فيه أمة الإسلام بقوله:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ (٢)

المضامين التربوية:

١. الصبر قيمة تربوية عظيمة لا يستغني عنها المصلحون ويحتاجها المربون والمعلمون والطريق إليها محفوف بالتسبيح آناء الليل وأطراف النهار
٢. النعيم والرخاء وزينة الحياة لا تشكل بالضرورة دلالة على السعادة والرضى من الله، بل ينبغي على المؤمنين عدم الالتفات إليها بالتمني لأنها موضع فتنة وابتلاء.
٣. العناية بالأسرة بالتوجيه والنصح والتعليم والتأكيد على إقامة الصلاة كدليل ومؤشر على الاستقامة وتفعيل دور القدوة في القول والعمل.

(١) سورة المائدة: الآية ٧٨.

(٢) سورة آل عمران: من الآية ١١٠.

٤. عدم تغليب الاهتمام بالرزق والقضايا الاقتصادية والمادية على جانب القيم الأخلاقية: ﴿... لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرِزُقُكَ وَالْعَنْقَبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (١)

٥. الاعتماد في الدعوة والتعليم والإرشاد والتوجيه أسلوب الإقناع العقلي والعلمي، وعدم اشتراط الرجوع إلى مرحلة العصور الماضية في الاستدلال بالآيات المادية ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوْلَم تَأْتِيهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (٢).
ويقول النبي ﷺ: " ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة " (٣).

٦. المتهم بريء حتى تقوم عليه البيئة والحجة. ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ...﴾ (٤).

٧. من لم يلحق بركب المهتدين فسوف يبقى متخلفاً وحده ويندم غاية الندم. ﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَن أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ (٥).

(١) سورة طه : من الآية ١٣٢ .

(٢) سورة طه : الآية ١٣٣ .

(٣) صحيح مسلم ، ج ١ ، ص ١٣٤ . صحيح البخاري ، ج ٤ ، ص ١٩٠٥ ، وسنن البيهقي الكبرى ج ٩ ، ص ٤ .

(٤) سورة طه : الآية ١٣٣ .

(٥) سورة طه : الآية ١٣٥ .

البحث في الإعجاز التربوي القرآني

← البحث في الإعجاز التربوي القرآني →

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .
٢. ابن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد . مصنف بن أبي شيبة . (دار النشر غير معروفة) ١٤٠٩ هـ . - ط ١ . - تحقيق : كمال يوسف الحوت .
٣. ابن الأثير ، مجد الدين بن محمد الجزري . (سنة غ م) النهاية في غريب الحديث . - المكتبة العلمية . - بيروت : تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي .
٤. ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم . ١٣٩٨ هـ مجموع الفتاوي . - طبعة صاحب السمو الملكي فهد بن عبد العزيز .
٥. ابن رجب ، الحنبلي عبد الرحمن بن أحمد . جامع العلوم والحكم . - ١٤٠٨ هـ . - بيروت : دار المعرفة . - ط ١ .
٦. ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، (أ) ١٤٠٧ / ١٩٨٧ م تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ط ٢ ، تقديم : د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي .
٧. ابن كثير ، إسماعيل بن عمر (ب) ، ١٤٠١ . تفسير القرآن العظيم . - بيروت : دار الفكر .
٨. ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب . - بيروت : دار صادر .

٩. أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي . إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم .- بيروت : دار إحياء التراث العربي .
١٠. الإزاري ، علي بن عبد الله الحموي . ١٩٨٧م خزانة الأدب .- بيروت : دار مكتبة الهلال .- ط ١ .- تحقيق : عصام شعيتو .
١١. الألوسي ، محمود . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .- بيروت : دار إحياء التراث العربي .
١٢. البغوي ، الحسين بن مسعود الفراء . ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م معالم التنزيل .- بيروت: دار المعرفة .- ط ٢ .- تحقيق : خالد العك ، مروان سوار .
١٣. البيضاوي ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م . تفسير البيضاوي .- بيروت : دار الفكر .- تحقيق : حسونة عبد القادر عرفات .
١٤. البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي . ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م . سنن البيهقي الكبرى .- مكة المكرمة : مكتبة دار الباز .- تحقيق : محمد عبد القادر عطا .
١٥. الجرجاني ، عبد الله بن عدي بن عبد الله . ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م . الكامل في الضعفاء .- بيروت : دار الفكر .- ط ٣ .- تحقيق : يحيى مختار غزاوي .
١٦. الجوزي ، عبد الرحمن بن علي . ١٤٠٤هـ . زاد المسير في علم التفسير .- بيروت : المكتب الإسلامي .- ط ٣ .

١٧. الحاكم ، النيسابوري محمد بن عبد الله . ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م المستدرك على الصحيحين . - بيروت : دار الكتب العلمية . - ط ١ . - تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

١٨. الخفاجي ، محمد علي رزق ١٩٩٤ . رؤية فنية لنص قرآني دراسة تحليلية سيميائية جمالية (تطبيق على سورة طه) . - القاهرة : دار المعارف . - ط ٢ .

١٩. الدجاني ، زاهية راغب . ١٤١٨ / ١٩٩٨ م . المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى عليه السلام وفرعون ، مقارنة عقائدية . - بيروت ، لبنان : دار التقريب بين المذاهب الإسلامية . - ط ١ .

٢٠. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر . مختار الصحاح . - بيروت : دار القلم (السنة دار النشر غير معروفة) .

٢١. الرازي ، محمد بن عمر . ١٤٠٥ / ١٩٨٥ م . - تفسير الفخر الرازي المشتهر بـ : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب . - بيروت : دار الفكر . - ط ٣ .

٢٢. رجب ، مصطفى ١٤١٩ / ١٩٩٨ م . نحو ثقافة إسلامية . - القاهرة : المكتب المصري لتوزيع المطبوعات .

٢٣. الزرقاني ، محمد عبد العظيم . ١٩٩٦ م ، مناهل العرفان في علوم القرآن . - بيروت : دار الفكر . - ط ١ . - تحقيق : مكتبة البحوث والدراسات .

٢٤. السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين . ١٩٩٣م الدر المنثور . - بيروت : دار الفكر .

٢٥. الشيباني ، أحمد بن حنبل . مسند أحمد . - مصر : مؤسسة قرطبة .

٢٦. الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب . ١٤١٥ المعجم الأوسط . - القاهرة : دار الحرمين . - تحقيق : طارق بن عوض الله ، وعبد المحسن الحسيني .

٢٧. الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب . ١٤٠٤/١٩٨٣م المعجم الكبير . - مكتبة العلوم والحكم . - الموصل . - ط ٢ . - تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي .

٢٨. الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد . ١٤٠٥ ، تفسير الطبري . - بيروت : دار الفكر .

٢٩. طهمان ، عبد الحميد محمود . ١٤١٥ / ١٩٩٤ . - سبيل السعادة في سورة طه . - كلمة التوحيد في سورة الأنبياء . - دمشق ، وبيروت : دار القلم ، الدار الشامية . - ط ١ .

٣٠. عباس ، فضل حسن . ١٤٠٧ / ١٩٨٧م . القصص القرآني إحاؤه ونفحاته . - عمان ، الأردن : دار الفرقان . - ط ١ .

٣١. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله . ١٣٨٧هـ . التمهيد لابن عبد البر. -
وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب . - تحقيق : مصطفى
العلوي ، ومحمد البكري .

٣٢. العقاد ، عباس محمود . عبقرية عمر . - الفجالة ، القاهرة : دار نهضة مصر

٣٣. العكبري ، عبد الله بن الحسين بن الحسن . التبيان في إعراب القرآن . - إحياء
الكتب العربية ، تحقيق : علي محمد الجاوي .

٣٤. عوض ، إبراهيم ١٤١٣ / ١٩٩٣ م . سورة طه دراسة لغوية أسلوبية مقارنة . -
القاهرة : دار النهضة العربية . - ط . - الطائف .

٣٥. القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر . ١٣٧٢ . تفسير القرني . - القاهرة :
دار الشعب . - ط ٢ . - تحقيق : البردوني ، أحمد عبد العليم .

٣٦. قطب ، سيد ١٤٠٥ / ١٩٨٥ م . في ظلال القرآن . - بيروت : دار الشروق . -
ط ١١ .

٣٧. المباركفوري ، محمد بن عبد الرحمن . تحفة الأحوزي . - بيروت : دار الكتب
العلمية .

٣٨. السيوطي ، عبد الرحمن وأحمد محمد . تفسير الجلالين . - القاهرة : دار
الحديث . - ط ١ .

٣٩. المناوي ، عبد الرؤوف ، ١٣٥٦ هـ . فيض القدير . - مصر : المكتبة التجارية الكبرى . - ط ١ .
٤٠. المناوي ، محمد عبد الرؤوف ، ١٤١٠ هـ . التعارف . - دار الفكر المعاصر بيروت : دار الفكر . - دمشق ، ط ١ . - تحقيق : محمد رضوان الداية .
٤١. نزال ، فوز سهيل كامل ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م . لغة الحوار في القرآن الكريم - دراسة وظيفية أسلوبية . الجوهرة للتوزيع ، عمان ، الأردن . ط ١ .
٤٢. النيسابوري ، مسلم بن الحجاج . صحيح مسلم . - بيروت : دار إحياء التراث العربي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
٤٣. الهيثمي ، علي بن أبي بكر . ١٤٠٧ هـ . مجمع الزوائد . - القاهرة ، بيروت : دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي .